الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الخامسة والثلاثون
ذو الحجة ١٤٤١ هـ - آب ٢٠٢٠م

العدد
٤٠٧

كلمة الوعي

أمريكا تشرف على السقوط

وإقامة الخلافة باتت حقيقة منتظرة عند الغرب

سياسات رجب طيب أردوغان في ميزان الإسلام ص١٥

من فقه التجديد: الصناعة مورد جديد لبيت مال المسلمين ص٣١

غياب مفهوم البيعة لدى المسلمين ووجوب إعادته ص٢٦

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

العدد ٤٠٧

السنة الخامسة والثلاثون
ذو الحجة ١٤٤١هـ
آب ٢٠٢٠م

المحتويات

- كلمة *الوعي*: أمريكا تشرف على السقوط، وإقامة الخلافة باتت حقيقة منتظرة عند الغرب ٣
- حضارة الغرب تترنّح للسقوط... وحضارة الإسلام تتهيأُ للنهوض ٧
- سياسات رجب طيب أردوغان في ميزان الإسلام (١) ١٥
- لا حياة للإنسان إلّا في ظلّ أحكام الإسلام
  يا أيّها النّاس: حيّ على دين ربّ الأنام ٢٢
- غياب مفهوم البيعة لدى المسلمين ووجوب إعادته ٢٦
- من فقه التجديد: الصناعة مورد جديد لبيت مال المسلمين ٣١
- أخبار المسلمين في العالم ٣٨
- مع القرآن الكريم: فائدة عن الربا (٣) ٤١
- رياض الجنة : لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس (١) ٤٤
- فبهداهم: عبد الله بن أُنَيْس الجهني... صحابي المهمات الخاصة ٤٧
- كلمة أخيرة: المنظمة الدولية للفرنكوفونية وجه من وجوه الاستخبارات الفرنسية ٥٠

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

أمريكا تشرف على السقوط، وإقامة الخلافة باتت حقيقة منتظرة عند الغرب

إن قصة استعمار الغرب لهذه الأمة ممتد منذ قرن من الزمن، وهو وإن استطاع أن يحتلها ولكنه لم يستطع أن يثبت احتلاله لها؛ إذ بقي فيها مفروضًا مرفوضًا... ونتيجة لهذا الفرض والرفض عاشت الأمة الإسلامية تلك الأوضاع المأساوية التي نراها، وهي تريد الخروج منها فلا تستطيع، وإنها لتعلم أن طريق خلاصها بدينها ولكنها لا تعرف الوصول إليه، وهي تفتش عن الذي يحمل لها الترياق والبلسم الشافي من طريقة رسولها ﷺ... وهو موجود بينها.

وإن الغرب ليدرك هذه الحقيقة التي تخيفه كثيرًا، ويعمل على منعها بكل مكر وقوة وإجرام، ويستعمل لمنعها كل أساليب الاستعمار الوحشية... ومع ذلك لم يستطع أن يحسم الصراع لصالحه طيلة هذا القرن، بل جاءت النتائج ضده، مع أنه كان وما يزال يمتلك كل الأدوات التي تمكنه من ذلك (الحكام العملاء، والجيوش المعدة لحماية الحكام من شعوبهم، والعلماء المأجورين، والأحزاب العلمانية والإعلام التابع ...) واستخدامهم جميعًا لمصلحته؛ إلا أن الأمة كانت تزداد إصرارًا على التغيير، ولا تجد مناصًا عنه، ولقد سقط كل من كان معها من أدوات في هذا الصراع... ولقد أدرك ذلك الغرب، وأدرك فشله في منع المسلمين من أن يعملوا على الانفصال عنه والتحرر من إساره، وأدرك أن المسألة هي مسألة وقت، هو يعترف أنه لن يستطيع أكثر من تأخير وقت طرده من المنطقة.

بيد أن اعتراف الغرب بهذه الحقيقة لم تجعله يستسلم لها، فهو دائم التفتيش عما يحول دون ذلك، وكلنا يرى كيف يتنقل في حربه من خطة إلى خطة علَّه يجد ثغرة ينفذ منها (احتلال العراق وأفغانستان، خطة تقسيم المنطقة من جديد على أسس طائفية ومذهبية وعرقية، مواجهة الثورات، إثارة النعرات المذهبية، اختراع الحرب على الإرهاب، محاربة الإسلام السياسي (الإسلامويين) اختراع داعش، ولعبة أردوغان... والأمر عنده مفتوح) ومن أساليبه القذرة والهابطة التي نرى أنه بات يستعملها دونما شعور بأدنى مسحة من الإنسانية، وهو أسلوب يعبر عن يأسه من إمكانية نجاح مساعيه القذرة في حربه ضد الإسلام ومنع عودة دولة الخلافة، هو اعتماده على أسلوب: الإنهاك، والتآكل البطيء الذي يستنزف كل قدرات العدو (بلاد المسلمين)، والذي يؤدي إلى الخراب المتدرج للمدن وتحويل الناس إلى أعداء لبعضهم، وجعلهم نازحين ومهجرين وبلادهم مهدمة مدمرة بأيديهم؛ وهذا الأسلوب بعيد عن الحسم العسكري ضد العدو، أي ضد بلاد المسلمين، أو تدمير القدرات العسكرية، بل يهدف إلى زعزعة الاستقرار وخلق الدولة الفاشلة في حروب داخلية أهلية مذهبية يتحكمون بها، وتتم بخطوات بطيئة وباستخدام مواطني دولة العدو، والتي تجعله **يستيقظ وهو مشلول عاجز** عن تلبية حاجاته الأساسية، والتي تجعله خاضعًا لإرادته مرتميًا في أحضانه متسولًا لمساعداته، هذا الكلام ليس تحليلًا وإنما هو من محاضرة ألقاها البروفسور «ماكس مانوارينغ) خبير الاستراتيجية العسكرية في معهد الدراسات التابع لكلية الحرب الأمريكية. والتي ألقاها في (إسرائيل)

بحضور كبار الضباط من حلف الناتو والضباط (الإسرائيليين). وهذا ما نرى أنه مطبق فعلًا في بلاد المسلمين من أفغانستان إلى العراق إلى سوريا وليبيا واليمن، والحبل على الجرَّار.

وإننا إذ ننقل هذه الصورة المشؤومة من حالة الصراع الدامي بين الإسلام وأعدائه الغربيين، وعلى رأسهم أمريكا وحليفتها (إسرائيل)، ومحاولاتهم الدائبة لمنعه من أن يأخذ دوره في الحياة من جديد؛ إلا أنه ترافقه صورة أخرى مغايرة تمامًا لما يريده الغرب. فإنه بما يقوم به من إجرام وصل إلى الحد الذي ذكرناه آنفًا، يعري بيده حضارته ويظهر توحشها وعدم إنسانيتها، وفسادها، وأنها لم تجلب إلى العالم، منذ قيامها، إلا الحروب والمآسي والدمار والاستعمار ومص دماء الشعوب ونهب خيراتها، وكانت الحربان العالميتان هما من أولى ثمرات شجرتها الخبيثة، هاتان الحربان اللتان طالتا بالدرجة الأولى شعوبهما، وهذه الحضارة الآن في أسوأ صور توحشها... هذه الحضارة بات الوقت يعمل لغير صالحها ما يشير أنها تسير نحو التآكل والانهيار، ولعلَّ الأحداث العرقية التي أعقبت مقتل المواطن الأمريكي فلويد وامتدادها إلى أوروبا؛ لاشتراكها مع أمريكا بالحضارة نفسها، لتدل على أن هناك قنابل داخلية مزروعة في جنبات هذه الحضارة وتكشف كيف أن تاريخ هذه الحضارة قائم على الاستعمار والاسترقاق وإبادة الشعوب منذ مطلعها، وخير سبيل لها هو الزوال.

جدير بالذكر هنا أن الغرب في خضم محاربته للمسلمين في دينهم وزرعه للمآسي في بلادهم، بلدًا بعد بلد، جعل المسلمين يشعرون أنهم أمة واحدة، عربهم وعجمهم، وأن حربهم في دينهم حرب واحدة، ما جعلهم جميعًا يتوحدون في النظرة، ويتطلعون إلى العيش من جديد في ظل دولة الخلافة الراشدة، ويستذكرون عدل الخلفاء وبسط العيش في ظلها، وحياة الطاعة لله، فتحنو نفوسهم إليها من جديد وتهفو قلوبهم لإعادة أمجادها، والعيش كأسلافهم في أجواء الدعوة والجهاد ونشر الإسلام... ومن ثم تطالعهم أحكام الله تعالى في فرضية العمل للتغيير بإقامة الخلافة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، والتي نقلت كتب الفقه إجماع علماء المسلمين عليها، فيعرفون أن العمل لإقامتها فرض وليس خيارًا... هذا ما يجعل المسلمين يتحملون كل شدة عليهم ويمضون قدمًا نحو إقامتها والتحمل والصبر في سبيل ذلك، فلولا أنه موجود لدى المسلمين ما هو أكبر وأقوى من الظلم والقهر والذل والفقر... وهو الإيمان بالله والعمل لنصرة الإسلام، لما استطاعوا الصمود بهذا الشكل الأسطوري ضد كيد الغرب ومكره.

وهنا نصل إلى معادلة ندية: إسلام يتقدم ليأخذ دوره من جديد على مسرح الحياة، وغرب يتأخر وينكشف ويهوي ويسير نحو الذبول، وهذا ليس كلامنا فقط بل هو كلام الكثير من مفكريهم ممن يتوقعون هذا المصير للحضارة الرأسمالية. وهؤلاء على ما نقرأ قسمان: قسم يرى بأن حضارة الغرب قد فشلت وآن أوان رحيلها، ولكن لا يتكلمون ببديل، وقسم يرى أنها كذلك وأن الإسلام هو البديل الحاضر، ويرون أن المسألة مسألة وقت، وهذا ما جعلنا نقول أن الوقت هو عامل مهم، وليس هو في مصلحة الحضارة الرأسمالية البائدة.

والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا هو: هل عملية التغيير الكوني الذي ينتظره العالم

اليوم، هي عملية محسوبة مدركة الخطوات، وموعدها معلوم، أم أنها غير ذلك؟. وهل عملية التغيير الكوني التي يتحدث العالم عنها تقتضي أولًا قيام دولة إسلامية، وهذه الدولة هي التي تقضي على دول الغرب الرأسمالي وتسقطه، أم غير ذلك؟...

والجواب عن التساؤل الأول هو أننا كمسلمين يجب أن نعمل للتغيير كفرض شرعي من الله لإقامة الحكم بما أنزل الله بإقامة الخلافة التي هي تقيم الدين وكل ما يتطلبه من الحفاظ عليه وتطبيقه ونشره... أن نعمل جادين مصرين ثابتين صابرين محتسبين الأجرَ والنصرَ عند الله وحده... لإعلاء كلمة الله، أن نعمل ملتزمين في سبيل ذلك بطريقة الرسول ﷺ حتى نصل إلى تحقيق ذلك. وذلك كما تقوم أمريكا والغرب بشكل مادي بحت وبإصرار على سيطرتهم على العالم، فلا نقول إن هذا الدين حق ونقعد منتظرين من الله أن يغير أحوالنا، وندعوه بذلك مع كل صلاة، بل إن الله سبحانه هو الذي أمرنا أن نعمل لإقامة دولة إسلامية تمامًا كما أقامها الرسول ﷺ في المدينة، فالإيمان بالله يقتضي إفراده بالطاعة أي بالحاكمية، والإيمان بأن الله وحده هو الهادي والمعين والناصر، ونجعل هذا الإيمان هو أساس عملية التغيير. ومع العمل هذا ندعو الله مخلصين له الدين بالنصر موقنين بالإجابة. إذًا فالتغيير عملية محسوبة الخطوات، ومدركة الأعمال. أما عن موعده فإنه بيد الله وحده، لا يعلمه إلا هو، وليس في مقدور المسلم البتَّ به إلا على سبيل التقريب، وهذا ما نراه اليوم، فإننا ندرك أن الأمة بلغت فيها دعوة ربها لإقامة دولة إسلامية مبلغًا كبيرًا، وأنها صارت قريبة من النصر والظهور، وهذا ما بات الغرب يحس به ويعمل جادًا على إبعاده كما ذكرنا في ثنايا هذه الكلمة، وعدم معرفة ذلك من قبل المسلمين هو ذاته لم يكن معروفًا للرسول ﷺ قبل قيام دولته: متى تكون، وأين تكون. وحتى الغرب نفسه الذي يرصد عملية التغيير لدى الأمة ويعمل على ملاحقتها من بلد إلى بلد، فقد صرح بعض مسؤوليه أنهم كلما ضربوا الصحوة في بلد ما وظنوا أنهم قد انتهوا منها فاجأتهم في بلد آخر وبوجه آخر. إذًا إن المسلمين اليوم هم على موعد مع الخلافة، ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبًا.

أما الجواب عن التساؤل الثاني فهو أن الغرب ودوله، وعلى رأسهم أمريكا قد يشهدون حدوث أزمات وظروف قد تؤدي إلى حدوث فوضى وحروب غير متوقعة في وجههم. فأمريكا تخوض حروبًا على كل الجبهات لكي تحافظ على مركزها، تخوض حربها مع الإسلام والمسلمين، وتخشى من منافسة الصين لها ما يجعل العلاقات متوترة بينهما، وقد تدخل في حرب باردة معها لتصل بعدها إلى حرب ساخنة مباشرة معها أو بالواسطة، وأمريكا تعمل على منع الاتحاد الأوروبي من الاتحاد فعلًا، وتشكيل قوة سياسية وعسكرية واقتصادية فيما بينها، وأمريكا عندها مشاكلها المالية التي لا تحلها بعِلمية وصحة نظام بل ببلطجة طبع الدولار من غير حسيب، وربط الاقتصاد العالمي بالدولار، وعندها مشاكلها الداخلية من التمييز العنصري، إلى تفكير كثير من الولايات بالاستقلال عن الفيدرالية... فالواقع الذي تعيش فيه أمريكا لا يمنع من حدوث أمر ما يجعل أمريكا أمام وضع أكبر من قدرتها على الصمود في وجهه. والأمثلة على ذلك كثيرة وقريبة، فوباء

كورونا الذي لم تنتهِ مفاعيله حتى الآن بل هي تزداد، أثبت عجز أمريكا عن مواجهته، وهدد مركزها الدولي لمصلحة الصين، ومقتل فلويد أحيا العنصرية من جديد في قلب أمريكا وأوروبا، وأصبح المواطنون الأمريكيون ذوو الأصول الآسيوية بالإضافة إلى السود الأمريكيين ذوي الأصول الأفريقية مهددين من قبل العنصريين البيض، وها ينذر بأقبح العواقب وبانقسام داخلي خطير.

من هنا ليس مستبعدًا أن تحدث أحداث عالمية كبيرة تؤدي إلى اختلال التركيبات السياسية الدولية الراهنة وتفتح أبواب صراعات جديدة لم تكن بالحسبان، والناظر إلى الواقع الآن لا يرى الأمر هذا مستبعدًا، والناظر إلى الماضي يرى أن له شواهد لم يستطع المسلمون تفسيرها إلا بعد حين، وذلك مثل حرب بعاث التي حصلت في المدينة بين الأوس والخزرج، وذهبت بصناديدها، واستلام الزعماء الشباب للقيادة فيها، وكان لذلك أثره الإيجابي في قيام دولة الإسلام الأولى فيها، ومثل ذلك حدوث طاعون جوستنيان وامتداده إلى بلاد سوريا وفلسطين والعراق ومصر حتى قضت على نسبة كبيرة من سكان المنطقة التي كان يتصارع فيها الروم والفرس، وذهبت بأعداد كبيرة من أجنادهم وهذا كان قبل ولادة الرسول ﷺ بثلاثين سنة، وكان له أثره في ضعف قوة كل من الإمبراطوريتين، وكان له أثره بالتالي بالقضاء على قوتهما من قبل دولة الإسلام بعد قيام دولته.

فما يجري الآن لا يستطيع أحد منا أن يفيض فيه، ولكن يعرف أن لله فيما يجري إرادة، ونسأله تعالى أن يهيئ لنا كما هيَّأ لرسوله النصر وصنع له مقدماته.

فما نعلمه، وبات يعلمه العالم، أن الغرب وعلى رأسه أمريكا مشرف على السقوط، ولا مانع أن يحدث له ابتداء ما يشغله كليًا عن غيره، وقد تحتدم حروبه الباردة حتى تدخله في حروب ساخنة تشغله عن المسلمين، كما حدث لأمريكا في حربها على الإسلام تحت مسمى الحرب على الإرهاب؛ إذ انشغلت عن الصين حتى وصلت الصين إلى مكانة خطيرة في المنافسة معها، وهي الآن تريد أن تفتح معها الملفات الساخنة التي لا يعرف أحد أين يمكن أن تصل. من هنا نقول إنه لا يمكن لأحد أن يتنبأ كيف ستتم عملية التغيير الكوني التي نتكلم عنها وإننا لنرجو الله أن يكون هذا القرن هو قرن إقامة دولة الخلافة كما كان القرن الذي سبقه هو قرن هدم الخلافة.

وفي كل الأحوال، سواء أقامت الدولة الإسلامية ابتداء وواجهت الدول القائمة، أم قامت ظروف وأوضاع أدت إلى فرط الواقع الدولي الآن فستخوض الدولة الإسلامية حروبًا طاحنة، سواء أكانت عسكرية، أم فكرية. ولكن من المؤكد أن الغلبة ستكون للخلافة بإذن الله، فالذي يقيمها هو الذي يحميها فقد بشرنا الصادق المصدوق سيدنا محمد ﷺ بأن الخلافة الراشدة ستقوم في آخر الزمان بقوله: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**»

وأن الحكم بالإسلام سيعمُّ مشارق الأرض ومغاربها، فقد أخرج مسلم عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا...**» وأن روما ستفتح، وفلسطين ستتحرر وفي ذلك أحاديث كثيرة وهي كلها تنبئ بظهور الدين... وإن غدًا لناظره قريب. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

حضارة الغرب تترنّح للسقوط... وحضارة الإسلام تتهيأُ للنهوض

حمد طبيب - بيت المقدس

في ظل غياب شمس الإسلام الوضَّاءة، عاشت البشرية سنوات من الظلام والضلال والضياع الواسع العريض، ومن التشتُّت والتفرُّق والتمزُّق والاقتتال والتطاحن، ومن التيه الكبير في دياجير الظلم والظلام... فتنقَّلت بين مبادئ وأفكار عدة تبحث عن درب النجاة من تيهها، وعن سبل الخلاص من شقائها وتعاستها؛ تتلمس شعاع نورٍ هنا وهناك علّها تخرج من كل ذلك؛ إلا أنها كانت، في كل مرة، تدخل في تيه جديد، وتقع في ظلمٍ وظلامٍ أشدَّ وأنكى من سابقه. وأخيرًا وجدت نفسها أمام حقيقة ساطعة لا لبس فيها ولا خفاء ولا مراء، هذه الحقيقة هي: إن عقول البشر وما صاغته من أفكار ومبادئ وقوانين وتشريعات، إنما هو سرابٌ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا!!

هذا بالفعل ما حصل منذ اكثر من مئة عام أو يزيد قليلًا عندما هُدمت دولة الخلافة، وغاب حكم الإسلام عن وجه الأرض، وأصبح المسلمون بلا دولة وبلا تأثير حقيقيّ لدين الإسلام العملي في حياة البشر، وأصبح هذا الدين لا يحمل إلى البشرية بالطريق الصحيح لتعرفه عن قرب وتعايشه وترى حسن تطبيقه في الحياة، وأصبحت البشرية كلها ترزح تحت قوانين الأرض المضلِّلة لا قوانين السماء الهادية.

لقد ثارت الشعوب فيما يسمى بالعصور الوسطى في أوروبا بسبب ظلم وتسلُّط الكنيسة، ثم تخلَّصت الشعوب منها بعد ثورةٍ دامية كلَّفتها الملايين من الأنفس؛ لتجد نفسها في نهاية المطاف بلا فكرٍ ولا دينٍ ولا قوانين تحكم حياتها، فأخذت تفكر وتقدر، ثم تفكر وتقدر؛ لتضع لنفسها منهجًا جديدًا، بدل قوانين الكنيسة الظالمة. فاهتدت أخيرًا إلى وجوب فصل الدين (الكنيسة) عن الحياة وأنظمتها، وهي فكرة (الحل الوسط) وفصل الدين عن الحياة التي ابتدعوها من عقولهم وأهوائهم؛ لكن فكرة (الحل الوسط) وفصل الدين عن الحياة لا ينتج نظامًا ولا يؤسس لتشريعات جديدة؛ فأخذوا يبحثون عن فكرة أخرى تبنى عليها تشريعاتهم العملية في الحياة؛ فاهتدوا إلى فكرة الحريات وبنَوْا عليها أفكارًا جديدة، كالديمقراطية وحقوق الإنسان والتعددية... وغيرها من أفكار تتصل بهذه الركائز الأساسية. لقد كانت الحريات هي الأساس الجديد المنبثق عن فصل الدين عن الحياة والحل الوسط؛ وهي في الحقيقة عبارة عن ردة فعل على ظلم الكنيسة، ولم تكن هذه الفكرة مبنية على أساس فكري سليم عندما وُضعت وعندما اتخذت أساسًا للحياة الجديدة؛ فكانت الحرية هي أساس لكل الأفكار في جميع المجالات والتشريعات الجديدة: في النظام الاقتصادي، والنظام الاجتماعي، والنظام السياسي، وأنظمة الحكم... وغير ذلك من أمور الحياة، ثم تبلورت أفكار جديدة لهذا النظام في القرن السادس عشر الميلادي؛ على يد المفكر الغربي آدم سميث، سطَّرها في كتابه الشهير «ثروة الأمم».

وقد ارتكز على فكرتين أساسيتين هما:

١- الحرية الاقتصاديَّة، وما يتلوها من حقِّ الملكيَّة والميراث والرِّبح.

٢ - قوانين السُّوق القائمة على المنافسة الحرَّة.

فكان آدم سميث هو المؤسس لهذا النظام الجديد (النظام الرأسمالي).

لم يلتفت الغرب أن النظام الصحيح يجب أن يرتكز على أسسٍ صحيحة، ولم يدركوا أن العقل البشري مهما كان مبدعًا لا يمكنه أن يضع نظامًا صحيحًا مستقيمًا للبشرية؛ لذلك بدأت المعاناة الجديدة بسبب ظلم هذا النظام الجديد؛ فكانت هناك عدة أزمات مالية ونفسية وحياتية. ففي سنة ١٨٨٦م حصلت أول ثورة على هذا النظام، وهي ثورة العمال على أرباب العمل، وكانت هذه الثورة في قلب دولة النظام الرأسمالي (أمريكا) في مدينة شيكاغو؛ حيث ثار العمال على أرباب العمل في مصانع النسيج للمطالبة بأجور أعلى وساعات عملٍ أقل؛ فحُدِّدت بعد ذلك ساعات العمل بثماني ساعات، ووُضع حدٌّ أدنى للأجور.. وكان هذا أول خرق للنظام الرأسمالي في تدخل الدولة في ضبط سوق العمل وسوق الأجور، وهي بمعنى آخر أول خرق لنظرية حرية السوق. ولم يقف الأمر عند حد العمال والأجور وساعات العمل، بل إن طبيعة النظام الرأسمالي وفكرة الحرية قد جلبت الكثير من المتاعب والأزمات، وحصلت على أثرها خروقات كثيرة في أسس هذا النظام وتدخلات من الدولة في سياسات جديدة تخالف الأفكار الأساسية في الحرية وخاصة حرية السوق.

• لقد جلب هذا النظامُ الماديُّ الجشعُ الكثيرَ من المتاعب والعديدَ من الأزمات كان آخرُها الأزمةَ التي حصلت سنة ٢٠٠٨م، وما زالت آثارها حتى يومنا هذا، لم يتعافَ منها المجتمع الرأسمالي بشكل خاص والعالم بشكل عام؛ وذلك نتيجة ما يحتويه من عقيدة فاسدة سقيمة (عقيدة الحل الوسط) التي لا تقنع عقلًا ولا توافق فطرةً، وما وضعته من أفكار واهية هابطة أساسها الحريات الغريزية، وتشريعات باطلة تستند إلى فكرة الحريات الهابطة. ولعلَّ من أبرز هذه المتاعب التي جلبها هذا النظام وما زال في معظم دول العالم:

١-تغليب الجانب المادي النفعي على كل الجوانب الأخرى: الإنسانية والروحية والأخلاقية، وما يجب أن يكون عليه المجتمع من قيمٍ رفيعة وأخلاقٍ سامية نبيلة. وهذه النظرة قد جلبها هذا النظام ورسّخها في عقول الناس من أتباعه؛ بسبب الأفكار التي أسس عليها قوانينه وطريقة عيشه وسلوكياته في الحياة تجاه البشر بشكل عام، وتجاه بعضه البعض بشكل خاص. وهذا الأمر قد جلب على البشر المتاعب الكثيرة والمتعددة، منها التطاحن على الثروات وعلى تكثير الثروة دون النظر إلى النواحي الأخلاقية والسلوكيات؛ فلا مانع من ممارسة البغاء من أجل المال، ولا مانع من بيع الأفيون والحشيش من أجل المال والشهوات والثروات حتى لو دمر المجتمع بأكمله، ولا مانع من السيطرة على ثروة الفقراء وجهودهم وتعبهم من أجل جني أكبر قدر من المال، ولا

مانع عند الدول الرأسمالية من أن تقوم بأعمال خسيسة تجاه شعبها أو تجاه شعوب أخرى من أجل تحقيق منافع الرأسماليين الكبار، كما جرى في الحرب العالمية الأولى والثانية، وكما جرى في أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١م. وكما هو حاصل هذه الأيام من إهمال للبشرية في الجانب الطبي وهي تصاب بالملايين **بفيروس كورونا ويهددها الموت** من أجل بيع الدواء واحتكاره. وقد تخلَّت الدول الأوروبية عن بعضها بعضًا تجاه هذا المرض كما حصل بتخليها عن صربيا، وحتى داخل المجتمع الواحد والدولة الواحدة تخلَّى المجتمع عن بعضه البعض، وأخذ يحسب الأمر بالحسابات المادية والنفعية؛ وذلك كما حصل من رئيس وزراء بريطانيا عندما أراد أن يحجر على الكبار في السن، فوق السبعين عامًا، ويترك باقي الناس بلا حجر ولا مراقبة فثار المجتمع في وجهه. وأيضًا ما جرى في إسبانيا عندما تركوا النزلاء في إحدى دور المسنين يموتون وحدهم بلا علاج ولا رعاية. وكل ذلك كانت حساباته مادية نفعية غير مبنية لا على نظرة إنسانية ولا أخلاقية.

٢-النظام الطبقي المقيت الذي قسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الأغنياء المتحكمين في كل شيء، وطبقة الفقراء الكادحين. وهذا النظام الطبقي قد جلبه النظام الاقتصادي الذي مكَّن الأغنياء من ثروات المجتمع، بسبب حرية التملك والتصرف بالملك وتنمية الملك. فلو نظرنا إلى أي بلد من بلاد الغرب، لرأينا أن فئة قليلة لا تتجاوز ٢٪ تمتلك حوالى ٩٥٪ من الثروة، وفي المقابل فإن ٩٨٪ لا يملكون سوى ٥٪ من تلك الثروة. وهذا الأمر (النظام الطبقي) انعكس على مستويات العيش والنظرة إلى الفقراء، حتى إن المجتمع برمته لا يقيم وزنًا للفقراء، ويمجد ويحترم الأغنياء. جاء في الموسوعة السياسية للكيالي: (... ولقد ميَّز النظام الرأسمالي بين الطبقتين في المجتمع الرأسمالي: طبقة الرأسمالية (البرجوازية)، والطبقة العاملة (البروليتاريا)؛ وبذلك يكون رأس المال قد قطع شوطًا كبيرًا في سيطرته على الإنتاج، وقد ساعدت العديد من العوامل والمؤثرات في تحقيق هذا التحول...)

٣-آفة الفقر، سواء في الدول الغنية المتقدمة أم الدول المسماة بالنامية، وما ترتَّب عليها من آفات متعددة قد تصل إلى المجاعات والموت في بعض الدول. ولا يسلم من آفة الفقر بسبب النظام الرأسمالي الجشع حتى أكبر الدول التي تعتنق هذا المبدأ في أوروبا وأمريكا. فقد ذكرت (شبكة سي سي تي)؛ في تقرير لها نقلًا عن مركز الإحصاء الأمريكي: (بأن ٤٥ مليون إنسان يعيشون تحت خط الفقر في الولايات المتحدة الأمريكية). ومن أسباب الفقر النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي أطلق الحريات في الملكية ففتحت المجال لأصحاب المال ليستحوذوا على الفقراء. وأيضًا جعل هذا النظام الثمن هو المنظم للتوزيع والحافز على الإنتاج، ولم يترك أي مجال للناحية الخلقية أو الإنسانية، وفي الوقت نفسه مكَّن حفنة من المتحكمين بحيازة الثروات العامة وحرم منها الطبقة الكبيرة في المجتمع، وزاد الطين بلة المؤسسات الربوية والشركات العملاقة حيث زادت فقر الفقراء بسبب استغلالها لجهود

العمال؛ لذلك فإنك تجد الطوابير من الفقراء في أي بلد رأسمالي، وتجد الآلاف ممن ينامون في الشارع ويقتاتون من حاويات القمامة.

٤-الآفات المجتمعية الخطيرة، والأمراض الفتاكة التي ارتبطت بفكرة الحريات الشخصية والجشع الرأسمالي والعنصرية والطبقية التي أنتجها هذا النظام، والتفكك الأسري وتغليب الشهوات على القيم والأخلاق النبيلة. وأبرز الآفات: **انتشار القتل** في دول أوروبا وأمريكا بأرقام مخيفة، وانتشار آفة المخدرات بسبب النظرة المادية المستحكمة في نفوس المجتمع الرأسمالي، وكذلك **انتشار الفساد الأخلاقي** والزنا ودور البغاء دون رادع ولا وازع في كل العواصم الأوروبية والأمريكية، وهذا جلب أمراضًا فتاكة ليس لها علاج، وهذه تتسبب بحالات رهيبة من الموت في كل عام، فقد ذكر موقع الأمم المتحدة حول مرض الإيدز بتاريخ ٢٠١٨/١٢/١م، قال: (... هناك ٩,٤ ملايين شخص مصاب بفيروس نقص المناعة البشرية لا يعرفون وضعهم. في حين بلغ عدد المصابين الكلي منذ اكتشاف المرض عام ١٩٨٨م ٣٨,٥ مليون شخص مصاب بالفيروس حتى ٢٠١٧م). ومن الآفات المجتمعية أيضا **اللقطاء** بسبب حالات الطلاق والزنا؛ حيث كشف مكتب الإحصاء الاتحادي أن ألمانيا سجلت خلال عام ٢٠١٠م أكبر عدد من الأطفال المولودين خارج إطار العلاقة الزوجية في تاريخها، وبلغ عددهم أكثر من ٢٢٥ ألف طفل؛ ما يرفع عددهم إلى أكثر من الضعف خلال العشرين عامًا الأخيرة. وذكر تقرير أمريكي نشرته جريدة الرياض بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٩م، أن نحو ٢,٥ مليون طفل يعيشون بلا مأوى في الولايات المتحدة؛ وهو عدد غير مسبوق حتى الآن للأطفال المشردين في أمريكا. **وأما موضوع القتل والجريمة**؛ فقد ذكر مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي (إف بي آي) عن عام ٢٠١٦م، وقوع مليون و٢٤٨ ألف و١٨٥ جريمة عنف في أنحاء البلاد، أي بمعدل ٣٨٦,٣ جريمة من هذا النوع بين كل ١٠٠ ألف شخص، وتشمل **جرائم العنف**، القتل العمد، والقتل عن طريق الخطأ، والاغتصاب، والسرقة والتعدي باستخدام القوة. وبيّن التقرير الذي اعتمد على إحصائيات تم جمعها من ١٦ ألفًا و٧٨٢ موقعًا من بين ١٨ ألفًا و٤٨١ موقعًا من مختلف أنحاء البلاد، إلى أن عدد جرائم القتل فقط في عام ٢٠١٦م، بلغ ١٧ ألفًا و٢٥٠ جريمة، مقارنة بـــ١٥ ألفًا و٦٩٦ عام ٢٠١٥م. ووصل عدد **جرائم الاغتصاب** في ٢٠١٤م إلى ٩٥ ألفًا و٧٣٠، بزيادة ٤,٩٪ عن عام ٢٠١٥م الذي شهد ٩٠ ألفًا و١٥٨ جريمة اغتصاب. وفي تقرير أصدره مركز «The Gun Violence Archive» المتخصص في توثيق حوادث عنف السلاح داخل الولايات المتحدة، يتحدث المركز أن معدل جرائم القتل المرتبطة بالأسلحة عام ٢٠١٩م وصل إلى ٨٧٨٢ قتيلًا و١٧٤٣٥ مصابًا، من بينهم ٣٩٦ جريحًا وقتيلًا من بين الأطفال، و٢٥٥ في إطلاق نار جماعي.

٥-التحكمات السياسية، وسلب حرية الاختيار الصحيح.. سواء في النظام الانتخابي، أو في ترشح الأغنياء دون الفقراء بسبب تكاليف الحملات. وهذا الأمر سببه هو تغليب النظرة الرأسمالية في حياة الغرب على كل شيء، فلا

يستطيع الفقير أن يترشح ولا أن يقيم دعايات انتخابية، مع أن فكرة الديمقراطية التي ينادون بها؛ هي عكس ذلك تمامًا؛ حيث تدعو إلى حرية الترشح وحرية الانتخاب. وعندما تصل الطبقة السياسية الرأسمالية إلى سدة الحكم فإنها تفرض نفسها في وضع القوانين وتتحكم في القرارات السياسية بما يخدم مصالحها الرأسمالية لا مصلحة عامة الناس؛ لذلك فإن أغلب الاستعمار السياسي سببه مصالح الشركات ورؤوس المال في الغرب. يقول جيم مارس في كتاب «الحكم بالسر»: في إجابته عن السؤال: من يحكم العالم؟ قال: (هُم الذين يتمكَّنون - عادةً - من التَّسبُّب باندلاع الحُرُوب وإيقافها. كما يتحكَّمون بأسواق الأسهم الماليَّة ونِسَب الفوائد على العُملات). وإذا نظرنا فعلًا إلى الواقع العملي، فإننا لا نرى الشعوب في أوروبا ولا أمريكا يضعون التشريعات ولا يشاركون بها، مع أن السيادة في النظام الرأسمالي هي للشعب.

٦-الأزمات والمشاكل النفسية. وربما يستغرب الإنسان لأول وهلة فيقول: المجتمع الغربي مجتمع راقٍ صناعيًا وتكنولوجيًا، وتتوفر فيه الأموال والصناعات. فالأصل أن يشعر فيه الفرد بالراحة النفسية والهدوء؛ ولكن العكس هو الحاصل، فأكثر حالات الانتحار هي في الدول الإسكندينافية الأكثر ثراء في العالم، فما السبب؟ إن السبب هو أن الراحة والسكينة سببهما ليس خارجيًا يتعلق بوفرة الإنتاج ولا التقدم الصناعي، إنما هو داخلي يتعلق بالطمأنينة الفكرية والقلبية والنفسية، وهذا لا يتأتى إلا إذا حصلت الطمأنينة الداخلية عند الإنسان، هذا عدا عن أن النظام الطبقي يولد الكراهية وعدم الراحة وعدم الاستقرار في المجتمع. ففي بيان لـ(**منظمة الصحة العالمية**) سنة ٢٠١٩م، جاء فيه: (... إن ما يقرب من ٨٠٠٠٠٠ شخص ينتحرون سنويًا، أي أكثر من أولئك الذين تتسبب أمراض الملاريا أو سرطان الثدي أو الحروب والقتل بوفاتهم، واصفة الانتحار بأنه «قضية صحية خطيرة في العالم»، وقال بيان (**منظمة الصحة العالمية**): «يقارب عدد الرجال الذين ينتحرون في البلدان المرتفعة الدخل؛ ثلاثة أضعاف عدد النساء، على عكس البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، حيث إن المعدل متساوٍ). وذكر (**المرصد الصحي السويسري**) الحكومي في عملية مسح أجراها: (أن قرابة ٨٪ من إجمالي السكان في سويسرا (٨,٥ مليون) قد جرَّبوا التفكير في الانتحار على الأقل مرة واحدة خلال الأسبوعَيْن اللذَيْن سبقا المسح). وسويسرا تعتبر من الدول الإسكندينافية الغنية.

٧-الانحلال المجتمعي بسبب النظرة النفعية والمصلحية، وبسبب غياب الرعاية الصحيحة في الدول الرأسمالية. وهذا من الآفات الكبيرة التي يعاني منها المجتمع. فالأسرة مفكَّكة بسبب النظام الاجتماعي السقيم، وبسبب انعدام الوازع الأخروي الديني. والعلاقات بين الأقرباء واهية ومفككة وضعيفة؛ لأن موضوع القرابة تسيِّره المصالح لا الوازع الديني، فلا غرابة إذا رأيت الولد لا يعرف عن أبيه شيئًا بعد سن معينة، ولا غرابة إذا رأيت الوالد أو الولد يموت ولا يعرف عن موته أبيه أو ابنه. يقول

الكاتب **ديفيد بوبينو** في كتابه «**الحياة من دون أب**»: (إنَّ أربعين بالمائة من الأولاد في أمريكا لا يعيشون مع آبائهم بسبب ارتفاع نِسبة الطلاق، والولادات غير الشرعية، وكل ثلاثة أطفال من أصل عشرة يولدون من أمَّهات غير متزوجات، وأنَّ الغالبية من هؤلاء الأطفال لا يعيشون مع آبائهم. الأكثر من ذلك أنَّ هؤلاء الآباء لا يرون أبناءهم بصورة منتظمة ولا ينفقون عليهم، والسبب الجوهري في هذا الأمر هو التغيير الثقافي في القيَم؛ فهناك الفردية المفرطة المنتشرة في المجتمع، ويحذر الكاتب من خطورة هذا التغيير في القيَم، ليس لأنه يهدِّد المؤسسات الاجتماعية الأساسية فقط؛ بل لأنَّه يؤثر سلبًا على الأطفال)... ويقول الكاتب **باترك بوتشانن**؛ في كتابه «**موت الغرب**»: (هناك عدة عوامل في بلاد الغرب إنْ لم يتمَّ احتواؤها وضبطها فسوف تؤذِن بانهيار الحضارة الغربية انهيارًا فظيعًا، من هذه العوامل: انخفاض معدَّلات المواليد، وذوبان العائلة، واندثارها وحدةً اجتماعية، وعزوف النساء عن الحياة الطبيعية التقليدية؛ مثل الزواج وإنجاب الأطفال ورعايتهم، وعزوف الشباب عن مؤسسة الزواج، وشيوع الجنس، واللواط، والحماية القانونية لهذه النزعات غير السوية).

٨-الحروب والاستعمار السياسي والعسكري

وما جره على العالم من حروب مدمرة عسكرية وسياسية وتجارية.. ولعل أبرز تلك الحروب التي جلبت على الغرب الدمار الحرب العالمية الأولى والثانية.. حيث كانت النظرة المادية البحتة هي المسيطرة على ألمانيا للسيطرة على كل العالم. فخلفت هاتان الحربان، جاء في (**موسوعة الجزيرة**) عن الحرب العالمية الأولى: (تسبَّبت الحرب في خسائر بشرية كبيرة حيث لقي أكثر من ثمانية ملايين شخص مصرعهم وجرح وفقد الملايين، كما خلفت خسائر اقتصادية كبيرة، فانتشر الفقر والبطالة، كما عرفت الدول المتحاربة أزمة مالية خانقة بسبب نفقات الحرب الباهظة...) أما الحرب العالمية الثانية فجاء في (**الموسوعة الحرة**)؛ (أنها خلفت أكثر من ٦٠ مليون قتيل وملايين الجرحى والمشرَّدين والمشوَّهين بسبب استخدام السلاح النووي على اليابان سنة ١٩٤٥م).

• إن العالم اليوم ما زال يعيش حالة من الرعب والخوف والترقب من الدمار الاقتصادي؛ بسبب الحروب التجارية بين العملاقين أمريكا والصين، أو خطر الحرب النووية بين كوريا وأمريكا.. وما زالت الحروب الشريرة السياسية والعسكرية تشعل هنا وهناك من أجل المصالح والسياسات المادية النفعية، ويموت بسببها الآلاف كل عام في الشام والعراق وليبيا واليمن وغيرها؛ وهذا كله بسبب الحروب القذرة التي تشعلها الدول الكبرى المندفعة بدوافع مادية بحتة؛ نتيجة للنظرة الرأسمالية المقيتة.

• لقد ضاق الناس ذرعًا بهذا النظام، وتعالت الأصوات تطالب بتغييره وإسقاطه؛ وخاصة في أبرز أفكاره وهي النظام الاقتصادي. وبرزت أصوات كثيرة؛ خاصة في الأزمة المالية التي حصلت أخيرًا سنة ٢٠٠٨م، وطالبت صراحة بتطبيق بعض الأفكار الإسلامية في أحكام الاقتصاد. فقد أثنت **وزيرة الاقتصاد الفرنسية.**

لاغارد؛ على (البعد الأخلاقي في النظام المالي الإسلامي، وقدرته على مواجهة أسباب الأزمة المالية الحالية، مشيدة بتحريم الغرر والميسر؛ في المعاملات الإسلامية).. وقال أستاذ الاقتصاد بجامعة باريس **أوليفييه باستري**: (إن النظام المالي الإسلامي يمكن أن يلعب دورًا تاريخيًا في العالم بالنظر لقدرته على مواجهة التحديات التي يطرحها الوضع الحالي)، ودعا أيضًا **مجلس الشيوخ الفرنسي** إلى ضم النظام المصرفي الإسلامي للنظام المصرفي في فرنسا، وقال المجلس في تقرير أعدته لجنة تعنى بالشؤون المالية في المجلس: (إن النظام المصرفي الذي يعتمد على قواعد مستمدة من الشريعة الإسلامية؛ مريح للجميع؛ سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين)، وأكد التقرير الصادر عن اللجنة المالية لمراقبة الميزانية والحسابات الاقتصادية للدولة بالمجلس (أن هذا النظام المصرفي الإسلامي الذي يعيش ازدهارًا واضحًا قابل للتطبيق في فرنسا).

• في ١٧ أيلول/سبتمبر عام ٢٠١١م اندلعت الاحتجاجات بخروج متظاهرين بالمئات في وول ستريت بمدينة نيويورك الأمريكيَّة وحاولوا احتلاله، معربين عن رغبتهم بتحويله إلى «ميدان تحرير» أمريكي، وعندما حدث ذلك هبَّت الشرطة على الفور لإغلاقه ومحاصرة المنطقة، واستمرت الحركة بعدها بالتظاهر لمدة أسبوع. هذا وقد خرجت سنة ٢٠١١م مظاهرات في ألف مدينة على الكرة الأرضية؛ تطالب بإسقاط هذا النظام والتخلص من رموزه المالية في وول ستريت وغيرها.

• **وقبل أن نختم نقول**: إن النظام الرأسمالي المنبثق من عقيدة الحل الوسط والقائم على أسس الحريات هو نظام فاسد سقيم. وإن النظام الاقتصادي المالي هو أوهى من بيت العنكبوت وقائم على أسس فاسدة جملة وتفصيلًا. ومن أبرز الفساد فيه (**النظام النقدي**)، الذي تتحكم فيه أمريكا عن طريق الدولار. ولا يوجد له أساس ثابت يحمي مقدرات الناس وجهودهم وثرواتهم؛ سواء من ذهب أم فضة أم من مواد عينية. والنظام المالي أيضًا تتحكم فيه البورصات العالمية، والتي تحمل في مؤسساتها المالية أرقامًا وهمية ليس لها واقع في أغلب أصولها، وتجري فيها أعمال ومعاملات تدمر ثروات الناس وتحولها إلى جيوب الأغنياء المتحكمين في هذه البورصات. والبنوك أيضًا تحول مدخرات الناس وجهودهم وتكدسها؛ ثم تضعها في منفعة فئة قليلة هم الرأسماليون الكبار وتحرم باقي المجتمع منها.

• إن البشرية اليوم تعاني من الضنك والفقر والحرمان، وبلاد المسلمين هي جزء من هذا النظام الرأسمالي السقيم؛ وهي كما قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ

والماء فوق ظهورها محمولُ.

• لقد جربت البشرية أنظمة كثيرة، منها ما انهار ومنها ما زال قائم. فالاشتراكية قد هدمها أصحابها بأيديهم؛ عندما رأوا اعوجاجها بعدما طبقوها سبعين عامًا، وظنوا أنها هي التي ستنجيهم من سطوة الرأسمالية وجشعها. والرأسمالية اليوم تترنَّح للسقوط المدوي بعد أن تخلى أتباعها عن كثير من أفكارها الرئيسة، أبرزها (**حرية السوق**). ولن يطول الوقت حتى

يعلن أصحاب الرأسمالية كما أعلن أصحاب الاشتراكية، انهيارها وسقوطها المدوي.

• **وفي الختام نقول:** إن البشرية لن تسعد إلا بالنظام الإلهي؛ فهو وحده الذي طبق في أرض الواقع زهاء أربعة عشر قرنًا، وعاشت البشرية في ظله حياة ملؤها السعادة والرفاه. وما زال أتباعه متمسكين به يطالبون بعودته رغم غيابه عن الواقع العملي ما يقارب المئة عام. وقد شهد بهذا الأعداء قبل الأصدقاء. تقول الباحثة الألمانية **زغريد هونكه** في كتابها الشهير «**شمس العرب تسطع على الغرب**»: (إن الإسلام أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحةً وإنصافًا، نقولها بلا تحيُّز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطِّخه بالسواد، وإذا ما نحَّينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، والجهل البحت به، فإن علينا أن نتقبَّل هذا الشريك والصديق مع ضمان حقه في أن يكون كما هو). وفي كتاب آخر اسمه «**التوجه الأوروبي إلى العرب والإسلام... حقيقة قادمة وقدر محتوم**» تقول: (الإسلام هو المحرك للمسلمين للخلق والإبداع، والدافع للبذل والعطاء، فدان لهم العالم، فأناروه بنور الحضارة الساطع، وأظلوه بظل المدنية الوارف). ويقول **الأمير البريطاني تشارلز**: (إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم، الأمر الذي فقدته المسيحية، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة) ويقول الشاعر الفرنسي **لامارتين**: (الإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن يفي بمطالب البدن والروح معًا، دون أن يعرض المسلم لأن يعيش في تأنيب الضمير، وهو الدين الوحيد الذي عباداته بلا صور، وهو أعلى ما وهبه الخالق لبني البشر)، ويقول الفيلسوف **جورج برنارد شو**: (الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا نجد في الأديان حسناته... قد برهن الإسلام من ساعاته الأولى على أنه دين الأجناس جميعًا؛ إذ ضم سلمان الفارسي وبلالًا الحبشي وصهيبًا الرومي؛ فانصهر الجميع في بوتقة واحدة). وهناك شواهد كثيرة من شهادات الغرب تصف هذا الدين وصفًا طيبًا، وتبين أنه الدين الوحيد القادر على إنقاذ البشرية.

• إن العالم اليوم هو كالأرض العطشى التي تنتظر المطر..وهذا الغيث هو الدين الذي يخلص البشرية مما هي فيه من بلاء وشرور وظلم وظلام... وهذا يبشر بقرب ظهور شمس الإسلام الوضَّاءة التي تنشر على الأرض دفئها وضياءها؛ تمامًا كما نشر الإسلام النور والهداية أول مرة؛ عندما ظهر في جزيرة العرب؛ ليصدق بذلك قول المولى عز وجل:﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، وقوله:﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾،وقوله:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾. نسأله تعالى أن يكرم أمة الإسلام عما قريب بحكم الإسلام في ظل دولة الإسلام.. آمين يا رب العالمين.■

بسم الله الرحمن الرحيم

سياسات رجب طيب أردوغان في ميزان الإسلام (١)

حامد عبدالعزيز- مصر

إن قراءة الواقع السياسي يجب أن تكون قراءة واعية مجردة عن المشاعر، والحكم عليه يجب أن ينبني على قواعد ثابتة، بمعنى أنه يجب أن نفهم الواقع كما هو لا كما نحب أن يكون، وأن الحكم عليه يجب أن ينبني على العقيدة الإسلامية لا أن ينبت في مراكب تتلاعب بها الأمواج والرياح، كما أن الحكم على الأشخاص والأفكار لابد من أن ينبني على قاعدة ثابتة قائمة على العقيدة الإسلامية وإلا فقدنا وعينا وتم سوقنا إلى المهالك ونحن نهلل ونستبشر، نرى الأمر نحسبه عارضًا ممطرنا فإذا هو ريح فيها عذاب أليم، أو سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء!. وإنه لا ينبغي أن تسمح الأمة لأحد بخداعها وإدخالها في حالة تستنزف من طاقاتها وقدراتها ووقتها وأملها ثم تعود مخذولة يائسة، خاصة وأن بين يديها كتاب ربها الذي أنزله هدى ونورًا؛ فلا تضل ما اتخذت مقاييسها وأحكامها منه وبنتْ أفكارها على أساسه. ولقد التفَّت الأمة سابقًا حول زعامات زائفة تمَّ صناعتها صناعة هلَّلت وطبَّلت لها على مواقف زائفة وخطابات عنترية، برغم أن تلك الزعامات لم تمنع عن الأمة هزائم تتلوها هزائم ولم تردَّ يد لامس، بل أوردتها المهالك وتلاعبت بقضاياها الهامة والمصيرية لصالح أعداء الأمة، بداية من مصطفى كمال وجمال عبدالناصر وياسر عرفات، ولن تكون مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان نهاية المطاف.

من هو رجب طيِّب أردوغان:

هو من مواليد ١٩٥٤/٢/٢٦م، حي قاسم باشا في إسطنبول، جاءت أسرته من محافظة ريزا شمال البلاد. التحق بمدرسة الأئمة والخطباء الدينية، ولازم نجم الدين أربكان، وتقلَّب في العديد من المناصب قبل أن يصبح عمدة إسطنبول في سنة ١٩٩٤م، سجن لمدة أربعة شهور ومنع من ممارسة أي نشاط سياسي بعدما أنشد شعرًا للشاعر التركي المشهور ضياء كوك ألب الذي يقول فيه: «المساجد ثكناتنا، والقباب خوذنا، والمآذن حرابنا، والمؤمنون جنودنا)، ثم صدر عفوٌ عامّ عنه.

بعد خروجه من حزب الفضيلة، أسس أردوغان حزب العدالة والتنمية مع صديقه عبد الله غول. وبعد وصوله إلى رئاسة الوزراء ألغى سياسات أربكان السابقة وأبرزها سياسة (التوجه شرقًا) واستمرَّ في التوجه نحو أوروبا والغرب. في سنة ١٩٩٤م، قال: «إن العقيدة العلمانية التي يقوم عليها النظام التركي لا بد من إلغائها لأن الإسلام والعلمنة لا يمكن أن

يتعايشا معًا، واعتبر أنه لو اعتمدت تركيا نظامًا إسلاميًا يعترف بجميع المواطنين بصفتهم مسلمين لما كانت واجهت المشكلة الكردية في جنوبي شرق البلاد»، وانتقد الدستور وقال إنه كُتب بيد (سِكِّيرين). ثم نكص على عقبيه بعد ذلك ليقول: «إنه يرى العلمانية بمثابة ضمانة للديمقراطية»، وشدَّد على عدم تشويه العلمانية بإساءة تفسيرها وإظهارها وكأنها تتعارض مع الدين. كما نفى الرجل الإسلامية عن حزبه فقال: «البعض يسموننا حزبًا إسلاميًا، والبعض الآخر يراه إسلاميًا معتدلًا؛ ولكننا لا هذا ولا ذاك، نحن حزب محافظ ديمقراطي ولسنا حزبًا دينيًا، وعلى الجميع أن يعرف ذلك»، كما صرح لجريدة السفير اللبنانية في ٢٠٠٩/١٢/١٢م، بقوله: «إن حزب العدالة ليس حزبًا إسلاميًا، ويرفض وصف سياسة حكومته الخارجية بالعثمانية الجديدة، ويرفض اعتبار تعاطفه مع غزة بأنه من منطلق إسلامي». ولو قرأنا مقدمة البرنامج السياسي لحزبه لتبيَّن لنا واقع هذا الحزب؛ حيث يقول البرنامج: «إن حزبنا يشكل الأرضية لوحدة وتكامل الجمهورية التركية؛ حيث العلمانية والديمقراطية ودولة القانون وصيرورات الحضارة والدمقرطة وحرية الاعتقاد والمساواة في الفرص تعتبر جوهرية».

وبرغم وضوح كلام الرجل نجد من يجادل عنه فيصف حزبه بالإسلامي ودولته بالنموذج الذي يجب أن ينسج الإسلاميون على منواله. وكلمته المشهورة أكبر ردٍّ على هؤلاء؛ إذ قال بكل صلف «تمدُّن المسلمين لا يمكن أن ينافس تمدُّن الغرب». وعندما سُئل أربكان في حديث له مع جريدة الشرق الأوسط – قبل وفاته – عن الدوافع التي جعلت أردوغان ينشق عن حزب الفضيلة، قال: «أردوغان لم يؤسس حزبًا بمبادرة منه، بل أُعطي أوامر بتأسيس حزب، لماذا أصبح أردوغان أُلعوبة في هذا المشروع؟ لأنه لديه ضعف إزاء الموقع والمال والرئاسة والمنصب»، ثم قال: «لسنا راضين عن ولائه وكونه شريكًا للصهاينة في بعض البرامج». كما قالت أويا أكجونينش إحدى القيادات البارزة في حزب السعادة الإسلامي: «إن حزب العدالة والتنمية حزب رجال الأعمال والأثرياء، فهم أكثر من استفاد من سياسته، وهو حزب مؤيِّد لأمريكا، ومؤيِّد لأوروبا، وليبرالي في سياسته الاقتصادية». وكان كبير مستشاري عبد الله غول قد نفى إمكانية تحول تركيا إلى دولة إسلامية وقال: «إن تركيا تقوم على أسس لا يمكن تغييرها أو تعديلها، وأولها علمانية الدولة وديمقراطيتها».

إن الذين يدافعون عن أردوغان يريدون إلباس الرجل ثوب الإسلامية عنوة، مع أنه منسجم مع نفسه وأفكاره تمامًا، فهو يقود نهجًا علمانيًا واضحًا، يفصل تمامًا بين الدين والدولة، والجانب الديني الذي يحرص على إبرازه وإظهاره هو (الجانب الطقوسي)، ولا توجد أي أدلة أو وقائع تثبت سعيه وتوجهه لتطبيق الأحكام الشرعية في الشأن السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، فالرجل في أكثر من مناسبة صرَّح بأنه رجل مسلم، يقود دولة

علمانية، وحينما زار مصر بعد ثورة ٢٥ يناير، قدم نصيحته للمصريين بتبني الدولة العلمانية، فلماذا يصرُّ البعض على إلباس أردوغان ثوبًا لا يريد لبسه، بل دعاهم بصريح العبارة إلى لبس ثوبه العلماني، الذي يراه حلًا ناجعًا!».

مما لا شك فيه أن مواقف أردوغان (البطولية) في دافوس وسفينة الحرية وسحبه لسفير بلاده في دولة (يهود) لشعوره بالإهانة، وإدِّعائه الوقوف مع الشعب السوري ضد نظام بشار الطاغية، أوجدت له شعبية كبيرة في العالم العربي استفاد منها كثيرًا؛ بحيث أصبح موضع أمل الكثيرين الذين لم يتعوَّدوا على مثل هذه المواقف من زعماء بلدانهم؛ ولكن لا ننسى في خضم هذه المواقف (البطولية) حقيقة أن تركيا لاعب رئيس في مسيرة التطبيع مع (يهود) التي انخرطت فيها جميع دول المنطقة بلا استثناء. ومما لا شك فيه أيضًا أن ادِّعاء تركيا بأنها تدعم المقاومة الفلسطينية ادِّعاء ساقط، فالتطبيع ودعم المقاومة نقيضان لا يلتقيان، كما لا يجب أن ننسى أن خطوطه الحمراء في سوريا لم تنفع أهل سوريا بشيء، بل تم خنق الثورة في سوريا وتسليم المناطق التي كانت تحت يد المعارضة المسلحة إلى النظام، ومازالت المؤامرة مستمرة لتسليم ما تبقَّى من إدلب. كما أن العلاقات المميَّزة بين تركيا والولايات المتحدة وكون تركيا عضوًا في حلف الأطلسي وتربطها علاقات اقتصادية وسياسية وعسكرية معلنة مع يهود، يرشحها للعب دور عاقد النكاح الذي يراد إكماله بين العرب ويهود.

موقف أردوغان من قضية فلسطين والعلاقة مع كيان يهود:

بعد سنوات من التوتر والقطيعة فى أعقاب قتل الكوماندوس (الإسرائيلى) عشرة نشطاء أتراك كانوا على متن السفينة (مافي مرمرة) التي كانت تسعى للوصول إلى قطاع غزة المحاصر في ٢٠١٠م، ضحَّى أردوغان بغزة، وبالمطالبات الدولية لفك الحصار عنها، وأبرم عقب جولات مفاوضات عديدة فى عدد من المدن الأوروبية اتفاقًا لتطبيع العلاقات مع كيان يهود في ٢٠١٦م، وشمل الاتفاق: عودة السفراء والزيارات، والالتزام بعدم العمل ضد بعضهما فى المنظمات الدولية، وعودة التعاون الأمني والاستخباراتي بين الطرفين. في المقابل تنازلت تركيا عن شرط رفع الحصار عن غزة مقابل السماح لها ببناء مستشفى حديث، ومحطة تحلية مياه البحر، ومحطة توليد كهرباء في القطاع.

فى ٢٦ يونيو ٢٠١٦م، زار رئيس جهاز الموساد يوسى كوهين أنقرة والتقى بنظيره التركي هكان فيدان، واتَّفقا فى هذا المجال على «عدم سماح تركيا لحركة حماس بأي أنشطة عسكرية ضد إسرائيل انطلاقًا من الأراضي التركية، سواء من حيث التخطيط أم التوجيه أم التنفيذ، بينما تستمر حماس بالاحتفاظ بمكاتبها في تركيا للقيام بأنشطة دبلوماسية» وذلك مقابل تنازل (إسرائيل) عن شرط ومطلب طرد قادة حماس من تركيا.

وفى نوفمبر ٢٠١٦م، تبادل الجانبان السفراء، وعيَّنت وزارة خارجية كيان يهود الدبلوماسي، إيتان نائيه، سفيرًا لدى أنقرة، وأرسلت تركيا السفير كمال واكيم.

وفي نوفمبر العام ٢٠١٦م، عندما تعرَّض كيان يهود لموجة حرائق، أدت إلى اشتعال النيران في المستوطنات بالضفة الغربية المحتلة، عرضت تركيا إرسال طائرة إطفاء كبيرة للمساعدة في إخماد الحرائق، وكانت الحكومة التركية أول المقدِّمين للمساعدات من أجل إخماد الحرائق، وقدَّم أردوغان ٣ طائرات لإطفاء الحرائق من أجل إخمادها، وقال وقتها نتانياهو، إنه يثمن هذا العرض والمساعدة التي تقدمها الحكومة التركية.

الواقع المشاهد أن أردوغان لا يرى مشكلة في احتلال حوالى ٨٠٪ من فلسطين، بل ويعتبر (إسرائيل) دولة شرعية، ولا يزال يعترف بحقها في الوجود على أرض الإسراء والمعراج، وينادي بحل الدولتين الأمريكي، ويحرض حماس على الاعتراف علنًا بـ(إسرائيل)!، وإنما يرى المشكلة فقط في المستوطنات لأنها تشكل عقبة أمام (السلام).

نقل السفارة الأمريكية إلى القدس:

في ديسمبر ٢٠١٧م هدَّد أردوغان، بقطع العلاقات مع (إسرائيل) إذا اعترفت الولايات المتحدة بالقدس عاصمة لها. وهذا ما لم يحدث؛ فلا هو قطع العلاقات مع كيان يهود، ولا هو اتخذ موقفًا تجاه أمريكا التي يجب أن يكون التهديد بقطع العلاقات معها هي لا مع ظلها كيان يهود. وقال أردوغان وقتها إن مثل هذه الخطوة تعدُّ تجاوزًا (لخط أحمر) بالنسبة للمسلمين. ثم أعاد نفس الكلام بعدما أقدمت أمريكا على تنفيذ خطتها بنقل السفارة بالفعل والاعتراف بالقدس عاصمة لـ(إسرائيل)، ففي ٨ مايو ٢٠١٨م، في مقابلة تلفزيونية مع (CNN) قال: إن قرار الولايات المتحدة بنقل سفارتها إلى مدينة القدس خطأ فادح. وفي ١٤ مايو خلال زيارته إلى لندن قال: «الولايات المتحدة بخطوتها الأخيرة اختارت أن تكون جزءًا من المشكلة لا الحل، وخسرت دور الوساطة في عملية السلام». ولم تكن هذه سوى مجرد تصريحات جوفاء لا أثر لها على أرض الواقع، حتى القمة الاستثنائية لمنظمة المؤتمر الإسلامي في إسطنبول التي دعا إليها أردوغان للتنديد بالانتهاكات (الإسرائيلية) بحق الشعب الفلسطيني بعد مقتل أكثر من ستين فلسطينيًا وإصابة ألفين بجروح برصاص الجيش (الإسرائيلي) على الحدود مع قطاع غزة في أحداث تزامنت مع تدشين السفارة الأمريكية الجديدة في مدينة القدس الشرقية. حتى هذه القمة لم يكن لها أثر سوى ذر الرماد في العيون من خلال كلمات الشجب والاستنكار، وقبل افتتاح القمة، أعلن أردوغان في كلمة أمام آلاف المتظاهرين الذين تجمَّعوا في وسط إسطنبول بدعوة منه لإبداء دعمهم للفلسطينيين أن العالم الإسلامي (فشل في امتحان القدس) ولم ينجح في منع انتقال السفارة الأمريكية إلى المدينة المقدسة.

فالفشل هو فشل الحكام الذين يقفون موقف المتفرج مما يحدث، بل هم مشاركون في التآمر على فلسطين، سواء ممن لم يُبدِ اعتراضًا على تلك الخطوة الأمريكية، أم ممن شجب واستنكر وندَّد. فلطالما سعى أردوغان إلى تزعم العالم الإسلامي بمجرد الخطب الرنَّانة؛ حيث انخرط في حرب كلامية مع (إسرائيل) ليُعيد سيرة من سبقة من الزعماء العرب الذين تاجروا بالقضية لكسب ود الشعوب التي تنظر لقضية فلسطين باعتبارها قضية مصيرية من قضايا الأمة.

صفقة القرن والموقف التركي منها:

أعلن الرئيس الأمريكي ترامب، يوم الثلاثاء ٢٠٢٠/٠١/٢٨م، في مؤتمر صحفي بواشنطن (صفقة القرن) المزعومة، بحضور رئيس وزراء كيان يهود بنيامين نتنياهو. وتتضمن الخطة إقامة دولة فلسطينية (متصلة) في صورة أرخبيل تربطه جسور وأنفاق، وجعل مدينة القدس عاصمة غير مقسمة لكيان يهود. ويوم الخميس ٢٠٢٠/٠١/٣٠م، خلال حفل توزيع جوائز الأناضول الإعلامية قال أردوغان معلقًا على صفقة القرن تلك: «إن القدس ليست للبيع»، كما قال أيضًا: «يطلقون عليها صفقة القرن، أي صفقة هذه! هذا مشروع احتلال». وأضاف: «نحن كأمة تركية، نظرتنا اليوم إلى فلسطين هي نفس نظرة السلطان عبد الحميد الثاني».

ويذكر أنه في ٥ آذار/مارس ١٨٨٣م، أصدر السلطان عبد الحميد مسودة قانونية عُرفت باسم (الإرادة الثانية) تُلغي ملكية اليهود للأراضي بالكامل، وتقضي بتحريم بيع أي شبر من فلسطين لليهود، وقد ظلت هذه المسودة سارية حتى عزله عن العرش عام ١٩٠٩م، وخلال تلك الحقبة، قام السلطان عبد الحميد بشراء الأراضي التي يريد أهلها بيعها. وفي عام ١٨٩٦م، رفض السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله بيع فلسطين لرئيس الوكالة اليهودية ثيودور هرتزل لتأسيس دولة صهيونية تجمع الصهاينة، ويومها رد السلطان عبد الحميد على هرتزل بالقول: «أنا لا أستطيع بيع حتى ولو شبر واحد من هذه الأرض (فلسطين)؛ لأن هذه الأرض ليست ملكًا لشخصي بل هي ملك للدولة العثمانية، والله لئن قطعتم جسدي قطعة قطعة لن أتخلَّى عن شبر واحد من فلسطين». وفعلًا استطاع السلطان عبد الحميد أن يحمي فلسطين والقدس والمسجد الأقصى، واستطاع أن ينسف (صفقة القرن) التي قدِم بها هرتزل، ولم يتحقق حلم الصهاينة إلا بعد أن أسقِطَت الخلافة الإسلامية العثمانية. فما الذي فعله أردوغان ردًا على صفقة القرن تلك سوى الكلام عن الخطوط الحمر التي تزداد يومًا بعد يوم.

موقف أردوغان من القضية السورية:

قال أردوغان في ٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢م، إنه «إن شاء الله، سنذهب إلى دمشق في أقرب فرصة، وسنحتضن إخوتنا هناك بكل محبة. هذا اليوم ليس بعيدًا. وإن شاء الله، سنقرأ الفاتحة أمام قبر صلاح الدين الأيوبي،

ونصلّي في الجامع الأموي، وسندعو بكلّ حرية من أجل إخوتنا أمام ضريح بلال الحبشي وابن عربي والتكيّة السليمانية ومحطة الحجاز»؛ لكن هذا لم يحدث، بل أكثر من ذلك قام أردوغان بتنفيذ الخطة الأمريكية في سوريا والتي تتلخص في منع النظام من السقوط، والتي كان أبرزها ما قامت به تركيا من سحب المقاتلين الموالين لها نهاية عام ٢٠١٦م، للقتال في مدينة الباب لمحاربة تنظيم الدولة، في حين كانت جبهات حلب في أمس الحاجة للدعم وللمقاتلين؛ حيث استمرت معركة حصار وخنق حلب من شباط ٢٠١٦م إلى أن سقطت حلب بيد النظام في ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٦م، وهكذا ظهر للعيان أن حلب للنظام مقابل مدينة الباب للأتراك في صفقة واضحة بين الروس والأتراك. واستمرت معركة الباب قرابة ثلاثة أشهر ودخلت قوات درع الفرات المدعومة من تركيا مدينة الباب في ٢٠١٧/٢/٢٣م، ومن ثم أصبحت تتوسع الجغرافيا التركية داخل الأراضي السورية مابين قتال تنظيم الدولة إلى قتال الأكراد دون المساس بالنظام الذي كان يتوسع هو الآخر في مناطق أخرى أكثر حيوية، فكانت سيطرة النظام على الغوطة الشرقية في نهاية آذار ٢٠١٨م، بُعيد سيطرة القوات التابعة للعملية العسكرية التركية المسماة غصن الزيتون على مدينة عفرين في منتصف آذار ٢٠١٨م. وتكرَّر السيناريو مرة أخرى في المعركة التي شنّتها تركيا وحلفاؤها على الأكراد في رأس العين وتل أبيض تحت مسمَّى نبع السلام، حتى تتمكن تركيا من السيطرة الكاملة على الحدود، وفي الوقت نفسه انتقلت مناطق واسعة من سيطرة الأكراد إلى سيطرة النظام دون قتال. وهكذا كانت كل تحركات تركيا تصحبها توسعات ومناطق تعود للنظام من جهة، ومزيدًا من السيطرة الكاملة والتحكم بالفصائل المتبقية في الثورة السورية، وكان آخرها هيئة تحرير الشام (النصرة) إثر أحداث إدلب الأخيرة وما سبقها من تفاهمات لتنفيذ اتفاقات سوتشي، وإخماد أي صوت معارض للاتفاق؛ حيث قامت هيئة تحرير الشام باعتقال أكثر من ثلاثين شابًا من **حزب التحرير** الذي يحرض الناس على بقاء بوصلة الثورة واحدة باتجاه إسقاط النظام من جهة، والفكاك من النفوذ الخارجي ورفض الاتفاقات الدولية الماكرة من جهة ثانية.

أقامت تركيا ١٢ نقطة مراقبة داخل محافظات إدلب وريفي حماة وحلب بالاتفاق مع الجانب الروسي والإيراني بهدف تطبيق ما يعرف باتفاق خفض التصعيد في المناطق التي كانت تفصل بين قوات النظام السوري والمعارضة، ودخلت تلك المناطق حيِّز التنفيذ تحت (خفض التصعيد)؛ ولكن خفض التصعيد هذا كان من طرف واحد؛ حيث زاد النظام وحليفته روسيا من ارتكاب المجازر تحت أعين الضامن التركي، وبدأ النظام يسيطر على المناطق المتبقية تحت سيطرة المعارضة السورية.

وبدأت المناطق السورية تتساقط تباعًا

من أيدي المعارضة السورية مع اتفاقية روسية تركية تشمل تسيير دوريات عسكرية مع اتفاق الجانبين على بند (محاربة الإرهاب) في سعي موسكو للسيطرة الكاملة على الأراضي التي تقع تحت سيطرة فصائل الثورة، وآخرها كانت مدينة سراقب التابعة لمحافظة إدلب أخر معاقل الثورة السورية. ومن المعلوم أنه لمحاربة الإرهاب لابد عليك أن تتمسك بشمَّاعة، كما حصل في مدينة الباب السورية؛ حيث اتَّفقت دول العالم على محاربة (تنظيم داعش) بعد أن أعطته الضوء الأخضر في بدايات الثورة للتغلغل داخل المدن السورية حتى يبقى بشار الأسد يعمل ويقتل تحت ذريعة محاربة الإرهاب مع حلفائه.

إن ما ارتكبه أردوغان في سوريا مثلًا يعتبر خيانة للإسلام وجريمة ضد المسلمين؛ فهو كان المساهم الأول في هزيمة الثورة، وهو يقف إلى جانب روسيا وينسق خطواته كلها معها، فكيف ينظر هؤلاء إلى أردوغان على أنه أملهم وملهمهم، وينظرون في الوقت نفسه إلى روسيا وإيران على أنهم أعدى أعداء الأمة؟!!

أردوغان ذاك الذي سلَّم مدينة حلب على طبق من ذهب لنظام بشار بعد أن لبثت هذه المدينة العظيمة لسنوات عصيةً عليه وعلى كل من أصطفَّ إلى جانبه، روسيا وإيران وحزبها وشَبِّيحتهم وذَبِّيحتهم، عندما فتح أردوغان عملية درع الفرات تزامنًا مع هجوم النظام وأحزابه على حلب، أي في الوقت الذي كانت فيه حلب وأهلها أحوج ما يكونون إلى من يستجيب لاستغاثاتهم، فكان ما كان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لم يعد خافيًا على أحد أن أمريكا وخلفها روسيا لم تكن تسعى إلى إسقاط عميلها طاغية الشام؛ وإنما سعت إلى إجهاض الثورة وإعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل بدايتها في ٢٠١١م؛ حيث كانت أمريكا هي المـُنفذ الفعلي لمقولة (الأسد أو نحرق البلد) وها هي الآن تحاول إنهاء ما بدأت به؛ ولعلّ الشمال السوري هو القلعة الأخيرة والحصن الأخير في هذه الثورة.

والخطر كل الخطر في اتفاقات بوتين وأردوغان الذي أتقن وظيفة التلاعب بالفصائل الموالية له كي يتيح لروسيا ولنظام الإجرام التفرُّد بالمناطق الواحدة تلو الأخرى؛ ومن ثم السيطرة عليها، ولإخراج المسرحية جيدًا تُتَّبع سياسة القصف الجوي الوحشي المكثف على الأهالي والمدارس والأسواق والمستشفيات، مع انهيار مقصود للفصائل التي من المفترض أن تكون مستعدة لأن تدافع عن مناطقها؛ لخلق فوضى عارمة يستحيل معها ضبط الأمور، لتنطلق بعد ذلك الدعوة للاستسلام تحت مسمى حقن الدماء والمحافظة على ما تبقَّى، وتصبح خيانات جنيف وأستانة وسوتشي سقف تطلعات الثورة والناس.

[يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

لا حياة للإنسان إلّا في ظلّ أحكام الإسلام
يا أيّها النّاس: حيّ على دين ربّ الأنام
﴿لِلَّهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾

زينة الصّامت

خلق الله الكون والحياة، وجعل لكلّ منهما نظامًا يسير وَفقه ولا يملك الخروج عنه. فالأرض مثلًا تدور حول نفسها وحول الشّمس ولا يمكنها أن تتوقّف عن ذلك ولا أن تغيّر مسارها. كما أنّ الحياة التي تتجسّد في الإنسان والحيوان والنّبات لها بداية "الولادة والنّماء" ولها نهاية "الموت والفناء" فلا تحيد عن هذا النّظام المفروض عليها. كما خلق اللهُ الإنسان وكرّمه ﴿۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾ وفضّله على كلّ الكائنات والمخلوقات فوهبه عقلًا يميّز به بين أن يتّبع النِّظام الذي وضعه له ربّه ليسيِّر به حياته وبين أن يحيد عن هذا النِّظام ويتَّبع نظامًا آخر من تشريعه، قال تعالى: ﴿٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ تُرِك له الخيار بين أن يتَّبع ما سنّه الله له من قوانين ليسيِّر بها حياته وينظِّمها وبين أن يترك هذه القوانين الرّبّانيّة ويسير وفق هواه وما يمليه عليه عقله من قوانين وضعيّة بشريّة. إنّه الاختيار الذي سيجني ثماره. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾.

بعث الله سبحانه وتعالى نبيّه ﷺ برسالة الإسلام لتكون آخر الرِّسالات وخاتمتها، فيها الهدى والرّحمة للنّاس كافّة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أرسله ليبيِّن للنّاس أنَّ هذا الدِّين هو منهج حياة يشمل جميع جوانبها المترابطة التي لا انفصال بينها، منهج ينظِّم كلَّ الحياة البشريَّة ويلبِّي جميع حاجات الإنسان. هو دين تفرَّد وتميَّز عن كلِّ الأديان والشّرائع بشموليّته وواقعيّته وهيمنته؛ دين شامل كامل فيه من القوانين والنّظم ما يعالج كلَّ ما في الحياة الإنسانيّة من مشاكل معالجة واقعيّة بعيدة عن التنظير والخيال.

هو نظام من لدن حكيم خبير، أنزله خالق الكون والحياة والإنسان القادر وحده على تنظيم مخلوقاته. فالإسلام منهج ربَّانيٌّ واحد فيه يعبد النَّاس الله وحده، وهو سبحانه وحده من يشرِّع لهم القوانين التي يسيرون عليها خلاف النّظم الأخرى التي يعبدون فيها أربابًا مختلفةً ويسيرون وفق ما يوضع لهم من قوانين بشريّة ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣١﴾.

جاء الإسلام ليلغي كلَّ عبوديَّة لغير الله وليجعل الأمر كلّه لله ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ٨٣﴾. جاء ليكون المنهج الثّابت

الذي رضيه الله لعباده في حياتهم المتجدّدة ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، رضي الله الإسلام دينًا لتدور حوله حياة النّاس، ومنهجًا واضحًا جليًّا يهديهم إلى الحلول ويسير بهم إلى برّ الأمان. هذا الدِّين هو حقيقة كونيّة لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها ويحيا دونها، وما لحقه جرّاء تخلّيه عنها وعيشه في ظلّ قوانين وضعيَّة بشريَّة خير برهان وأفضل دليل على ذلك.

بهذه الحقيقة الكونيَّة يحيا الإنسان مسلمًا يرضي ربّه وينال خير جزاء، فإن تخلّى وحاد عنها وتوجَّه إلى غيرها من النّظم التي يضعها البشر فإنَّه يعود بذلك على البدء فيحيا الجاهليّة من جديد ويلحقه الأذى والألم والعيش النَّكد. فكيف يترك الإنسان العيش بالإسلام الذي فيه كلُّ التّوافق والانسجام مع ما خلق الله ويتوجَّه إلى الإنسان المحتاج النّاقص ليضع له نظامًا يسير عليه؟! كيف يترك العيشة السويَّة الرضيّة الموافقة لفطرته والمتوافقة مع الكون ويركض وراء عيش ليس فيه سوى التصادم والصراع والتضارب مع ما فطر الله عليه الوجود والحياة؟! كيف يتخلّى الإنسان عن قوانين الخالق الكاملة الثابتة ليجري وراء قوانين ناقصة متغيِّرة متحوِّلة بحسب المصالح وعاجزة عن تقديم الحلول لمشاكله؟!

منذ جاء الإسلام وأعداؤه يكيدون له ولأهله، ومعركة الحقّ والباطل لن تنتهي إلى يوم يبعثون؛ فقد توجّه الغرب في معركته ضدّ الإسلام إلى ضرب الدّولة التي تقوم على تنفيذ القوانين الرّبّانيّة فشتَّت المسلمين وجعلهم يحيون في ظلّ دويلات يحكمها رويبضات ينفِّذون أوامره ومخططاته لنشر حضارته. أطاح بدولة الإسلام ونشر ثقافته القائمة على فصل الدين عن الحياة، وسعى جاهدًا لجعل الإسلام محصورًا في المساجد والعبادات. دأب على أن يحصره في دائرة ضيّقة ليبعده عن حياة النّاس فلا يتدخَّل فيها ولا يسيّرِها بل وأقصاه عن أيِّ نشاط واقعيٍّ فيها.

جهود كبيرة نجحت في نهاية المطاف في فصل الإسلام عن الدَّولة، وكان ذلك على يد اليهودي مصطفى كمال. لقد أُقصِي الإسلامُ عن تسيير الحياة ووُضِعت مكانه أنظمةٌ أخرى انبثقت عنها مفاهيم غربية عوَّضته وسدَّت فراغ مفاهيمه الإسلاميّة فتبوّأت مكانة القيادة والسّيادة وجعلت من قوانينها حلولًا لمشاكل الإنسان.

في ظلّ قيادة الحضارة الغربيّة وفي ظلّ قوانينها الوضعيّة هذه يحيا العالم اليوم واقعًا مريرًا تكشفه التّنقيحات والتّعديلات المتعاقبة على الدّساتير والقوانين نتيجة عجزها عن تقديم الحلول النّاجعة لمشاكل الإنسانيّة والتي ضاقت ذرعًا بما تعانيه:

- **من فقر**؛ إذ يوضِّح «مؤشّر الفقر متعدِّد الأبعاد لعام ٢٠١٩» الذي أصدره برنامج الأمم المتّحدة الإنمائيُّ أنّه في ١٠١ دولة تمّت دراستها (من بينها ٣١ دولة بدخل قوميّ منخفض و٦٨ بدخل متوسّط و٢ بدخل قوميّ مرتفع) هناك ١,٣ مليار شخص يعانون الفقر «متعدِّد الأبعاد».

- **ومن بطالة؛** «فمن بين الـ ٣,٣ مليار الذين يعملون في العالم الآن، يقلقنا أنّ الكثير منهم يواجهون إحساسًا بعدم الأمان فيما يخصُّ مستقبل مداخيلهم، وهم موظَّفون بعقود عمل لا تناسبهم. نعرف ذلك لأنّ هؤلاء يقولون إنّهم اختاروا هذه الوظيفة، دون إرادتهم؛ فهم مضطرُّون لقبول وظائف عمل مؤقَّتة أو بدوام جزئي، بينما ينتظرون فرصة لوظيفة دائمة أو بدوام كامل». (ديميان غريمسو مدير البحوث في منظّمة العمل الدّوليّة).

- **ومن جوع؛** فحسب تقرير لمنظَّمة الصحَّة العالميّة في أيلول/سبتمبر ٢٠١٨م، فإنّ «٨٢١ مليون شخص يعانون الآن من الجوع، وأكثر من ١٥٠ مليون طفل يعانون من التقزُّم، وهو ما يُعرض هدف القضاء على الجوع للخطر».

- **ومن حروب وصراعات** تقودها الدّول الرأسماليّة المتكالبة على ثروات العالم والساعية لنهب أكثر نصيب منها وفرض هيمنتها على البلدان والشّعوب ولو - في سبيل تحقيق ذلك - قتلت الآلاف وشرَّدت الملايين (قدَّر «المرصد السّوري لحقوق الإنسان» أنّ عدد القتلى منذ بداية الحرب وصل إلى ٥١١ ألفًا حتّى آذار/ مارس ٢٠١٨. خلَّفت سنوات من القتال المستمر ٦,٦ مليون نازح داخليٍّ، و٥,٦ مليون لاجئ في جميع أنحاء العالم، وَفقًا لـ«المفوّضيّة السّامية للأمم المتّحدة لشؤون اللاّجئين»).

يحيا الإنسان (رجلًا كان أو امرأة / طفلًا أو شيخًا) كمًّا هائلًا من المشاكل والمصاعب التي لا يجد لها في هذا النّظام السائد معالجات، بل إنَّ الأمر يزداد سوءًا بتفاقم جشع وتوحُّش القائمين على هذا النظام، والذين انتابهم الرعب من ظهور بوادر تهاوي رأسماليَّتهم واحتضارها، فضاعفوا الجهود لضخِّ الدماء في جسدها حتّىَ يجدِّدوا خلاياها وتجد بذلك إلى الحياة طريقًا أطول.

فهذا السعي الدؤوب لإصلاح ما فسد من قوانين، وهذا العمل المتواصل لتغييرها لتنسجم مع ما يطرأ على حياة الإنسان من تغيُّرات وتطوُّرات، يثبت عجز هذا النظام وغيره من الأنظمة الوضعيَّة عن تقديم الحلول الجذريَّة القادرة على إسعاد الإنسان في كل حال وحين، وهذا ما يجعل هذا الأخير غير قادر على العيش دون المنهج الربَّانيِّ ولا أن يستغني عنه طويلًا. فكيف له أن يعيش في ظلِّ منهج جاهل ناقص ضعيف متقلِّب حسب المصالح والأهواء ويترك منهج ربَّه الصّادر عن علم وكمال وقدرة وحكمة؟! ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ﴾.

كيف يمكنه أن يتخلَّى عن المنهج الربَّانيِّ الذي وعى وعلم أنَّ هذا الإنسان هو مجموعة من الغرائز ومن الحاجات العضويَّة التي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، وأنّ طريقة تلبيتها وإشباعها هي التي تتغيَّر وتتطوَّر! فحبّ التملّك عند الإنسان لم يتبدَّل ولم يطرأ عليه أيُّ تغيير، فقد فطر عليه، وهو غريزة من غرائزه يشبعها بطرائق مختلفة وبوسائل متنوِّعة. فما يتطوّر هو «ماذا يملك» الإنسان لا «هل يملك» أو «هل يحبّ أن يملك»؟ ففي الماضي كان الإنسان يسعى ويعمل ليملك جَمَلًا فيتنقَّل عليه واليوم صار يعمل لامتلاك سيّارة... في الماضي كان يسكن الخيام واليوم يسكن المنازل والقصور...

قديمًا كان يفترش الحصير لينام واليوم يستعمل السّرير... هنا يكمن التطوُّر والتغيُّر في الوسائل والأدوات التي تلبّي حاجاته العضويّة وغرائزه وليس في الحاجات ولا في الغرائز لأنَّها ثابتة لا تتبدَّل ولا تتغيَّر...

كيف يستبدل الإنسان بالنظام الربَّانيِّ الشامل الكامل نظامًا بشريًّا عجز عن فهم ماهية الإنسان فاعتبر غرائزه وحاجاته متطوِّرة ومتغيِّرة وقصر عن معرفة حقيقتها بأنّها ثابتة وعليها جُبل الإنسان؟ فمنذ خُلق وهو يأكل ويشرب ويقضي حاجته وينام ويلبس ويملك... وإلى يومنا هذا لا زال يقوم بتلبية هذه الحاجات ويعمل على إشباع غرائزه! فكيف للإنسان أن يختار منهجًا يخرجه من الحقّ ويعيده إلى الباطل والجاهليّة؟!

ذكر الكاتب البريطاني «بول ميسون» في كتابه «ما بعد الرأسماليّة» أنّ الرأسماليّة تحتضر. فهو يعتبرها «نظامًا معقَّدًا متكيِّفًا، وصل إلى أقصى حدود قدرته على التكيُّف». بالفعل فقد وصلت الرّأسماليّة إلى أقصى حدود قدرتها على التكيُّف وعلى ترقيع أخطائها وجرائمها في حقِّ الإنسانيَّة، وتبيَّن أنّ الحياة لا تستقيم إلا بالإسلام، وأنه رغم ما فعله الأعداء من فصل لهذا الدِّين عن حياة النَّاس فقد فشلوا في ذلك؛ لأنّ الله قد فطر عباده على العبادة، وخير ما رضيه الله لهم الإسلام، ولا يمكن لهم العيش دونه، فهو الدين الحقُّ الذي انبثق عنه تصوُّر شامل لحقيقة وجود الإنسان ولغاية هذا الوجود! دين قدَّم الحلول والمعالجات لجميع ميادين الحياة؛ فبيَّن علاقة الإنسان بنفسه وبغيره وبخالقه، وحدّد له أحكامًا يسير وفقها لينظِّم حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية تنظيمًا محكمًا متميّزًا ومتفرِّدًا. دين عظيم من لدن ربٍّ عظيم أنزله على نبيه لينير درب البشرية بعد أن عاشت طويلًا في ظلمات حالكة، ويوم تخلَّت عنه عادت إلى تلك الظلمات، وغرقت في بحار عاتية من الهموم والمشاكل في ظلِّ نظامٍ رأسماليٍّ عجز عن تقديم الحلول والمعالجات وأفلس.

وبعد إفلاسه صرَّح المجرمون القائمون عليه بعداوتهم للحقّ وأهله الثّابتين على مبدئهم، وصار هؤلاء الظّالمون وأعوانهم ينكِّلون أكثر بالمسلمين ويقتِّلونهم ويستبيحون أعراضهم ودماء الأطفال الأبرياء. ولكنَّ اليقين بأنها الأيام الأخيرة لهؤلاء الظَّلمة وبأنّ الفرج قريب بإذن الله يشحذ الهمم ويدفع المخلصين من أبناء المسلمين إلى العمل على استئناف الحياة بالإسلام حتى يعرفوا معنى الحياة الحقيقيِّ، ويحيَوا وكلَّ الإنسانيّة حياة رضيَّة هنيئة.

علينا، بوصفنا حملة خير دعوة أنزلت للناس، أن نكون على ثقة بنصر الله وتمكينه، وبأن الحضارة الإسلامية لن تموت ولا يمكن أن تموت؛ لأنها الخير الذي خاره ربّ العالمين لعباده، ولن تكون الحياة «حياةً» إلّا في ظلِّها وظلِّ أحكامها التي ستنفَّذ إن شاء الله في دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوَّة!

فحيّ أيّها المخلصون الغيورون على هذا الدّين! حيّ على العمل مع **حزب التّحرير** لبناء دولة الإسلام من جديد لتحكم بما أنزل الله؛ فترُضوا ربّكم ويُرضيكم.﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

غياب مفهوم البيعة لدى المسلمين ووجوب إعادته

سليمان المهاجري- اليمن

قامت ثورات الربيع العربي في ٢٠١١م في تونس ومصر واليمن وليبيا وسوريا الشام، مطالبة بإسقاط الأنظمة المطبَّقة عليها، إلا أن هذه الثورات لم تحقق أهدافها بالانعتاق من هيمنة الغرب الكافر المستعمر وإسقاط الأنظمة الحاكمة العميلة له، وإقامة حكم الإسلام؛ لذلك رأيناها قد تجدَّدت وتمدَّدت في السودان والجزائر ولبنان والعراق، فهي ما زالت مستمرة، وستتجدد وستتمدد حتى تحقق هدفها والغاية التي خرجت من أجلها. بيد أنه من أسباب عدم تحقيق هذه الثورات لهدفها هو غياب مفهوم البيعة عند المسلمين. فبغياب الخلافة الإسلامية ولمدة تسعة وتسعين عامًا عن المسلمين غاب مفهوم البيعة عندهم؛ ما أدى إلى سرقة ثوراتهم، ونهب ثرواتهم، وتدنيس مقدساتهم، وسفك دمائهم بأيديهم... فلم يتغيَّر الحال ولم تسقط الأنظمة.

ابتداءً، لا بد من ذكر أن البيعة حكم شرعي مرتبط بالحكم الشرعي الأم، وهو حكم الخلافة، ثم لابد من توضيح مفهوم البيعة للمسلمين والأدلة على وجوبها من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة. جاء في كتاب الشخصية الإسلامية الجزء الثاني للشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله أن «البيعة فرض على المسلمين جميعًا. وهي حق لكل مسلم رجلًا كان أو امرأة. أما كونها فرضًا فالدليل عليه أحاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام الذي رواه ابن عمر: **«... ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»**. وأما كونها حقًا للمسلمين فإن البيعة من حيث هي تدل على ذلك؛ لأن البيعة هي من قِبَل المسلمين للخليفة، وليست من قِبَل الخليفة للمسلمين»؛ ومن هذا يتبيَّن أن البيعة هي عقد بين طرفين، ولا يتم هذا العقد إلا بالرضى والاختيار.

وقد وردت البيعة في القرآن والحديث الشريف، قال تعالى﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾وروى البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: **"بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم"**. وفي البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلاّ لدنياه إن أعطاه**

ما يريد وفى له وإلا لم يفِ له، ورجل يبايع رجلًا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطي بها كذا وكذا فصدقه فأخذها ولم يُعطَ بها". وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "**كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعت**" وفي البخاري أيضًا عن جرير بن عبد الله قال: "**بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، فلقَّنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم**". وروى البخاري عن جنادة بن أبي أمية قال: "**دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا: أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأَثَرَةً علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، قال إلاّ أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**". وروى البخاري قال: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد، هو ابن أبي أيوب، قال: حدثني أبو عقيل زهرة بن معبد، عن جده عبد الله بن هشام، وكان قد أدرك النبي ﷺ وذهبت به أمه زينب بنة حميد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، بايعه. فقال النبي ﷺ: «**هو صغير**» **فمسح رأسه ودعا له**»... فهذه الأحاديث صريحة في أن البيعة هي طريقة نصب الخليفة. فحديث عبادة قد بايع الرسول على السمع والطاعة، وهذا للحاكم. وحديث عبد الله بن هشام رفض بيعته لأنه غير بالغ؛ مما يدل على أنها بيعة حكم. وحديث أبي هريرة صريح ببيعة الأمام، وجاءت كلمة «إمام» نكرة، أي أي إمام.

وهناك أحاديث أخرى تنص على بيعة الإمام، ففي مسلم من طريق عبد الله ابن عمرو بن العاص قوله إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**» رواه مسلم. وروى مسلم أيضًا عن أبي سعيد الخُدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**». وروى مسلم أيضًا عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدِّث عن النبي ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر، قالوا فما تأمرنا قال: فوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»... هذه هي الأدلة على أن البيعة فرض على جميع المسلمين وهي أيضًا صريحة من الكتاب والسنة بأن طريقة نصب الخليفة، أي الحاكم، هي البيعة، وقد فهم ذلك الصحابة وساروا عليه، وبيعة الخلفاء الراشدين واضحة في ذلك. هذا من حيث فرضيتها وكونها الطريقة لنصب الخليفة أي الحاكم.

أما الإجراءات العملية التي تتم بها عملية تنصيب خليفة، قبل أن يبايع، فإن هذه العملية تُفهم مما حصل مع الخلفاء الراشدين الذين جاؤوا عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

مباشرة، وهم أبو بكر الصدّيق، وعمر، وعثمان، وعليٌّ، رضوان الله عليهم أجمعين، وقد سكت عنها جميع الصحابة وأقرُّوها، مع أنها مما ينكر لو كانت مخالفة للشرع؛ لأنها تتعلق بأهم شيء يتوقف عليه كيان المسلمين أي دولتهم، وبقاء الحكم بالإسلام، ومن تتبُّع ما حصل في نصب هؤلاء الخلفاء، نجد أن بعض المسلمين قد تناقشوا في سقيفة بني ساعدة ، وكان المرشحون سعد بن عبادة وأبا عبيدة وعمر وأبا بكر؛ إلا أن عمر وأبا عبيدة لم يرضيا أن يكونا منافسين لأبي بكر، فكأن الأمر كان بين أبي بكر وسعد بن عبادة ليس غير، وبنتيجة المناقشة بُويع أبو بكر، ثم في اليوم الثاني دُعي المسلمون إلى المسجد فبايعوه، فكانت بيعة السقيفة بيعة انعقاد، وصار بها خليفة للمسلمين، وكانت بيعة المسجد في اليوم الثاني بيعة طاعة.

وحين أحسَّ أبو بكر بأن مرضه مرض موت، وبخاصة وأن جيوش المسلمين كانت في قتال مع الدول الكبرى آنذاك الفرس والروم، دعا المسلمين يستشيرهم فيمن يكون خليفة للمسلمين، ومكث مدة ثلاثة أشهر في هذه الاستشارات، ولما أتمَّها وعرف رأي أكثر المسلمين، رشح لهم بلغة اليوم، ليكون عمر الخليفة بعده، ولم يكن هذا العهد أو الترشيح عقدًا لعمر بالخلافة من بعده؛ لأن المسلمين بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه حضروا إلى المسجد وبايعوا عمر بالخلافة؛ فصار بهذه البيعة خليفة للمسلمين وليس بالاستشارات، ولا بعهد أبي بكر؛ لأن ترشيحه من أبي بكر لو كان عقدًا للخلافة لعمر لما احتاج إلى بيعة المسلمين، هذا فضلًا عن الأدلة التي ذكرناها سابقًا التي تدل صراحة على أنه لا يصبح أحد خليفة إلا بالبيعة من المسلمين، وحين طُعن عمر، طلب منه المسلمون أن يستخلف لكنه أبى، فألحُّوا عليه فجعلها في ستة، أي رشح لهم ستة، ثم عين صهيب الرومي أن يصلي بالناس، وليقوم على من رشحهم عمر حتى يختاروا من بينهم الخليفة خلال ثلاثة أيام التي عينها لهم.

فقد روى البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل لعمر: ألا تَستخلِف؟ قال: إن أستخلِف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فألحوا عليه فجعلها في ستة هم: عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، الزبير بن العوام، طلحة بن عبيدالله، عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، ثم عين صهيبًا ليصليَ بالناس، وليقومَ على من رشحهم عمر حتى يختاروا من بينهم الخليفة خلال الأيام الثلاثة التي عيَّنها لهم، وقد قال لصهيب: «... فإن اجتمع خمسة، ورضوا رجلًا، وأبى واحدًا، فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف ...» كما نقل ذلك الطبري في تاريخه، وابن قتيبة صاحب كتاب الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، وابن سعد في الطبقات الكبرى، ثم عين أبا طلحة الأنصاري مع خمسين رجلًا لحراستهم، وكلَّف المقداد بن الأسود أن يختار للمرشحين مكان اجتماعهم، ثم بعد وفاته رضي الله عنه، وبعد أن استقرَّ

المجلس بالمرشحين، قال عبدالرحمن بن عوف: أيُّكم يخرج منها نفسه ويتقلدُّها على أن يوليها أفضلكم، فسكت الجميع، فقال عبدالرحمن بن عوف: أنا أخلع نفسي، ثم أخذ يستشيرهم واحدًا واحدًا، يسألهم أنه لو صرف النظر عنه، من كان يرى فيهم أحق بها، فكان جوابهم محصورًا في اثنين: علي وعثمان، بعد ذلك رجع عبد الرحمن بن عوف لرأي المسلمين يسألهم: أي الاثنين يريدون: يسأل الرجال والنساء، يستطلع رأي الناس، ولم يكن يعمل رضي الله عنه بالنهار فحسب بل وفي الليل كذلك.

أخرج البخاري من طريق المسور بن محرمة قال: «طرقني عبدالرحمن بعد هجع من الليل، فضرب الباب حتى استيقظتُ فقال: أراك نائمًا، فوالله ما اكتحلتُ هذه الليلة بكبير نوم» فلمّا صلَّى الناس الصبح تمَّت بيعة عثمان، فصار خليفة ببيعة، لا بجعلها عمر في ستة.

ثم بعد أن قتل عثمان، بايع جمهرة المسلمين في المدينة والكوفة عليَّ بن أبي طالب، فصارخليفة ببيعة المسلمين له.

هذا في حال كانت الخلافة قائمة، وكان هنالك خليفة مات أو عُزل، ويراد إيجاد خليفة مكانه.

أما في حال لم تكن هنالك خلافة ولا خليفة مطلقًا،كما هي الحال في واقعنا اليوم، منذُ زوال الخلافة الإسلامية في إسطنبول وغياب الحكم بما أنزل الله بتاريخ الثامن والعشرين من رجب ١٣٤٢هجرية، الموافق ٣ آذار ١٩٢٤م، على يد عملاء الإنجليز آنذاك مصطفى كمال اليهودي الماسوني الأصل وآل سعود، تحولت دار الإسلام إلى دار كفر.

فالواجب على المسلمين اليوم، والغاية التي يجب عليهم أن يعيشوا من أجلها ويعملوا على تحقيقها، والتي هي إقامة الخلافة لإعادة وضع أحكام الإسلام موضع التطبيق والتنفيذ في الحياة والدولة والمجتمع، وحمل الإسلام رسالة إلى العالم بالدعوة والجهاد... هذه الأمور توجب على المسلمين إقامة تكتلات سياسية تقوم على الفكرة الإسلامية وتعمل سياسيًا لإقامة الحكم بما أنزل الله.

وعلى أساس هذه الغاية، ومن منطلق قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ قام **حزب التحرير** يدعو الأمة الإسلامية لإعادة الحكم بما أنزل الله واستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة، متأسيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم في سيرته منذُ بعثته إلى أن أقام الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، ساعيًا إلى أن يحقق الله له موعوده ونصره المبين. فعلى الأمة الإسلامية اليوم وهي تسعى للتغيير إذا أرادت أن ترضي ربها وتختصر مآسيها وتعود كما أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس، وتعود إلى سالف عزتها، فها هو **حزب التحرير** الرائد الذي لا يكذب أهله يواصل ليله بنهاره من أجل تحقيق هذه الغاية... فلتصغِ الأمة له وتعمل معه، فطريقه هو الطريق الشرعي

الوحيد المنضبط بطريق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث الواقع. فإذا تحقق ذلك في قطر من أقطار البلاد الإسلامية وتحققت معها البيعة، ستعود الخلافة والخليفة، وستبرأ ذمتنا أمام الله سبحانه وتعالى. ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

جاء في كتاب مقدمة الدستور (الأسباب الموجبة) للشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله: "فإن كل قطر من الأقطار الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي أهل لأن يبايع خليفة، وتنعقد به الخلافة، فإذا بايع قطر ما من هذه الأقطار الإسلامية خليفة، وانعقدت الخلافة له، فإنه يصبح فرضًا على المسلمين في جميع الأقطار الأخرى أن يبايعوه بيعة طاعة، على شرط أن تتوفر في هذا القطر أربعة أمور:

أولًا: أن يكون سلطان ذلك القطر سلطانًا ذاتيًا يستند إلى المسلمين وحدهم، لا إلى دولة كافرة أو نفوذ كافر.

ثانيًا: أن يكون أمان المسلمين في ذلك القطر بأمان الإسلام لا بأمان الكفر، أي أن تكون حمايته من الداخل والخارج حماية إسلام، من قوة المسلمين، باعتبارها قوة إسلامية بحتة.

ثالثًا: أن يبدأ حالًا بمباشرة تطبيق الإسلام كاملًا تطبيقًا انقلابيًا شاملًا، وأن يكون متلبِّسًا بحمل الدعوة الإسلامية .

رابعًا: أن يكون الخليفة المُبايَع مستكملًا شروط انعقاد الخلافة.

فإذا استوفى ذلك القطر هذه الأمور الأربعة، فقد وجدت الخلافة بمبايعة ذلك القطر وحده، وانعقدت به وحده، وأصبح الخليفة الذي بايعوه انعقادًا على الوجه الصحيح هو الخليفة الشرعي، ولا تصحُّ بيعة لسواه" انتهى.

هذه هي البيعة، وهذه هي أحكامها، فقد ثبتت في سيرته صلى الله عليه وسلم حين بايعه الأنصار بيعة العقبة الثانية، وكانت بيعة على الحكم كما ذكرنا آنفًا. وأيضًا ثبتت عمليًا في عهد الخلفاء الراشدين على مرأى ومسمع من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان إجماعًا.

وإنه لمن فضل الله علينا وعلى الناس أن أصبح للإسلام واليوم رأي عام، وأصبح هو أمل الأمة في الخلاص، وأصبحت الخلافة تتردد على كل لسان بعد أن لم تكن، وأصبحت إقامتها وإقامة الحكم بما أنزل الله هي أمنية المسلمين جميعًا، وهذا ما يأمر الله سبحانه المسلمين أن يقوموا به من وراء ما يعلنونه من ثورات، وما يأمر به من وجوب تنصيب خليفة، وما يأمر به من وجوب إقامة الحكم بما أنزل الله.

واللهَ نسأل أن يسدِّد خطانا، وأن يمدَّنا برَوْحٍ من عنده، وأن يشدَّ أزرنا بملائكته ويخلص المؤمنين، وأن يكرمنا بنصر عزيز مؤزَّر من عنده، وأن يمكننا من إقامة الخلافة، وتنصيب خليفة نبايعه على السمع والطاعة على أن يحكم فينا بكتاب الله وسنة رسوله، ويقضي على أنظمة الكفر في جميع بلاد المسلمين، ويجمع المسلين تحت راية الخلافة، ويوحد بلاد المسلمين في دولة الخلافة...إنه على ما يشاء قدير.■

بسم الله الرحمن الرحيم

من فقه التجديد: الصناعة مورد جديد لبيت مال المسلمين

يوسف الساريسي

في سياق البحث العملي في الهيكلية المالية لموارد الدولة الاسلامية وإيراداتها التي ترفد بيت المال من أموال الفيء والخراج والجزية والعشور والخمس والزكاة، وبهدف تجنُّب احتمال حدوث الإفلاس المالي، إن لم تفِ مواردها بما تحتاجه من نفقات متصاعدة، بسبب التطور الهائل في وسائل الحياة وأشكالها المدنية لا سيما ما يتعلق منها بالأسلحة الحربية والصناعات الثقيلة ومشاريع البنية التحتية؛ ولهذا بدأ التفكير الجدي في كيفية توفير موارد اضافية للدولة حتى لا تسقط في بحر الفقر والعوز، وبالتالي فلا تستطيع أن تؤدي رسالتها، ولا أن تقوم بدورها كدولة تحمل رسالة هداية لغيرها من الأمم. فهل نستطيع الإتيان بمورد شرعي جديد لبيت المال يحل هذه المشكلة، لم يذكر من ضمن الأحكام الشرعية المتعلقة بموارد بيت مال المسلمين سابقًا؟ ويكون فيه إبداعًا في حل المشكلات التي ستواجه دولة الخلافة مستقبلًا بواقعية عملية.

١. الخراج: كان الحل العبقري لايجاد مورد جديد لبيت المال:

كانت مسألة عدم كفاية موارد بيت المال لتغطية المهمات الكبيرة الواجبة على الدولة هاجسًا كبيرًا للفاروق عمر رضي الله عنه، وهو أمر شغل باله وأرَّق مضجعه. فأدرك ببصيرته السياسية والإدارية الثاقبة أنه لا بد من وجود مورد إضافي ودائمي ثابت لبيت المال؛ حتى تتوفر الأموال التي تخرج منها الأعطيات، وينفق منها على مصالح الدولة والجهاد والجيوش، وإطعام الفقراء، والإنفاق على كل الجهات والأبواب الواجبة؛ لذلك قام رضي الله عنه بفرض الخراج على الأراضي الزراعية في البلاد التي فتحت عنوة كالشام والعراق ومصر، ومنع توزيعها على المحاربين كغنائم لايجاد مورد مالي ثابت لتغطية نفقات الدولة المتزايدة، مع العلم أن بعض الصحابة اعترض على ذلك.

لقد بات واضحًا أن حالة عجز بيت المال وقلة موارده هي حالة ممكنة وواقعية، وقد كادت تحصل في الماضي وتم حلها بالخراج؛ ولكنها يمكن أن تحصل في دولة الخلافة القادمة نتيجة التطور الهائل في مدنية العالم

المعاصر؛ وعليه فإنه يجب حلها بالاجتهاد وفقه التجديد بعد فهم الواقع وتحقيق المناطات ذات الصلة للخروج بحلول لموارد بيت المال، وبما يحقق فوائض مالية إن أمكن.

٢. الأوقاف الخيرية: فكرة ابداعية في حل مشكلات تمويل حاجات الجماعة:

يجدر بالذكر هنا أن المسلمين في تاريخهم الطويل قاموا بإبداعات عظيمة وكثيرة، لحل مشاكل تمويل حاجات جماعة المسلمين، مثل فكرة «الوقف» الإبداعية، فالمسلمون أيام عزهم ومجدهم استطاعوا التغلب على كثير من مشاكلهم بحلول إبداعية غاية في الروعة ما زالت آثارها قائمة حتى بعد هدم دولة الخلافة، وكان من جملة هذه الحلول الإبداعية الأوقاف للمنافع العامة للمسلمين؛ حيث يقف بعض الأغنياء بعض العقارات والأراضي والأموال لمصالح معينة، حسب حث الرسول عليه السلام في حديثه الشريف للمسلمين بعمل صدقة جارية في قوله: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»، فقام المسلمون اتباعًا لهذا الحديث بعمل صدقات جارية كثيرة، وكان من أبرز أشكالها الأوقاف الخيرية.

٣. البحث عن موارد إضافية لبيت المال:

لا بد من القول بأن أمراء الدعوة الثلاثة وقفوا على هذه الإشكالية. فمن جهته، قام الشيخ عبد القديم زلوم ،رحمه الله، في كتاب «الأموال في دولة الخلافة» بطرح هذه المشكلة، وتصدَّى لعلاجها حينما ناقش كيفية تغطية أي نقص في الإنفاق من خلال طرق ثلاثة هي: الاستقراض، والحِمى، والضرائب. أما الاستقراض فمرفوض كخيار بسبب اقترانه بالربا، فضلًا عن جعله للكافرين سلطانًا على المسلمين. أما الحِمى والضرائب فهما من الإجراءات الشرعية بضوابط معينة ومؤقتة. وقد اعتمد فيهما على الاجتهاد الشرعي بدليلين:

الأول: اجتهد بجواز أن يعمد الخليفة بحِمى بعض أنواع الملكية العامة مؤقتًا، لتوفِّر الدولةُ منها دخلًا ماليًا إضافيًا لبيت المال، واستند فيه إلى حكم الخراج، فيجوز للخليفة من باب أولى أن يحمي ما هو من الملكيات العامة لينفق منه على الجهات التي يجب الإنفاق عليها، في حالة عدم وجود مال في بيت المال، فتحمي الدولة بعضَ آبار النفط ثم تنفق أموال الحمى للإنفاق على الجهات الواجب الإنفاق عليها.

الثاني: وجوب الإنفاق على السلاح والجيش للجهاد في سبيل الله، فعند خلوِّ بيت المال يجوز للخليفة أن يفرض على جماعة المسلمين ضريبة معينة، أو أن يقوم بتحصيل هذا المال من واردات الملكية العامة التي هي ملك للجماعة، بأن يحمي منها ما يغطي هذه النفقات بدلًا من الضرائب.

والمستند الشرعي للحمى والضرائب، هو أن بعض الأحكام كالجهاد وإطعام الفقراء هي

من الواجبات الكفائية على الأمة، فوجب عليها توفيرُ الأموال اللازمة لها في حالة العدم. غير أن كلا الخيارين مؤقتان، وليسا موردًا دائميًا كالخراج؛ لذلك أصبح لا بد من البحث عن مورد دائمي جديد لبيت المال لتمكين الدولة من الاضطلاع بمسؤولياتها.

٤. مورد جديد ودائم لبيت المال: صناعات الدولة الثقيلة:

بعد البحث والمراجعة والتفكير في مسألة إيجاد مورد جديد ودائم لبيت المال، ليغطي النفقات الباهظة للصناعة الحربية والجيوش، لوحظ أن الخراج كمورد دائمي لن يكون كافيًا لتغطية النفقات اللازمة، بعد التطور المدني الهائل في الصناعات والتكنولوجيا والأسلحة.

فحين نتعمق في حكم الخراج الذي ضرب على الأرض الزراعية، نجد أن الزراعة كانت قديمًا هي المورد الرئيس للأفراد والدول، أما الصناعة فقد كانت تقتصر على حِرف يدوية وآلات بسيطة مما يلزم أساسًا للحروب وللزراعة وللأدوات المنزلية وغيرها. فلم تكن هناك صناعات حقيقية بالشكل الحديث، وقد كانت الصناعات اليدوية والحِرفية أمرًا ثانويًا في مداخيل الأفراد والدولة. واليوم لا تشكل الزراعة سوى ما نسبته ٣٪ أو أقل من موارد الدول الصناعية الحقيقية، ويعمل فيها أقل من ٣٪ من الأيدي العاملة. أما الصناعة فهي تشكل عصب الاقتصاد والمورد الرئيسي للأموال في غالب الدول، ولذلك يلزمنا التفكير في الصناعة كمورد لبيت المال.

أهمية الصناعة ودور الدولة فيها:

لما اهتدى الإنسان إلى استخدام البخار في تسيير الآلات، أخذ المصنع الآلي يحلُّ محلَّ المصنع اليدوي. ولما جاءت الاختراعات الحديثة حصل انقلاب خطير في الصناعة، فزاد الإنتاج زيادة عظيمة، وغدا المصنع الآلي من أسس الحياة الاقتصادية.

التقط الإمام المجدد تقي الدين رحمه الله، في كتابه «السياسة الاقتصادية المثلى» هذه الأهمية للصناعة فقال: كل ما هو داخل في الملكية الفردية، **فإن للدولة أن تملك مثله** كما يملك أي فرد. حتى في العصر الحديث، هناك أشياء من الملكية الفردية تكون مملوكة للدولة واقعيًا ولا تكون مملوكة للأفراد، كمصانع الآلات التي تنتج الآلات ومصانع السيارات ونحوها مما يحتاج القيام به إلى أموال ضخمة، **فإنه لا يتأتَّى أن يقوم بمثل هذه الصناعات إلا الدولة؛ لأنها هي التي تملك الإمكانيات لمثل هذه المصانع؛** ولذلك درج الغرب على إنشاء شركات المساهمة التي يتيح نظام تكوينها أن تجمع أموالًا ضخمة تستطيع أن تؤسس... مثل هذه الصناعات. ولكن الإسلام يحرم شركات المساهمة، ولهذا فإنه لا يمكن - حسب أحكام الشركات في الإسلام- أن تنشأ شركة أفراد تمتلك أموالًا ضخمة تقدر على إنشاء مصانع كبرى، فلا يبقى قادرًا إلا الدولة على ذلك، فتكون هذه المصانع -وإن كانت ملكية

فردية- ولكن لضخامة نفقاتها، سوف لا تكون إلا للدولة.

وورد في كتاب الأموال فيما يتعلق بالمرافق العامة التي توفرها الدولة للناس بمقتضى الرعاية، بأنها تشتمل على: الخدمات البريدية، والمصرفية، ومرافق النقل العام، والمصانع. وذكر أنه لما كانت الأسلحة الثقيلة اليوم لم تعد أسلحة فردية يملكها الأفراد كما كان الحال سابقًا، بل أصبحت مملوكة للدولة؛ لذلك كان **الواجب** يفرض على الدولة أن تقوم هي بإنشاء مصانع لصناعة الأسلحة وللصناعات الثقيلة.

الدليل الشرعي على وجوب إنشاء الدولة للصناعات:

يعتبر الخليفة أنه نائب عن الأمة في الحكم والسلطان وفي تنفيذ أحكام الشرع، وقد جعل الشارع مسؤولية رعاية الشؤون اللازمة للجماعة من واجبات الخليفة، كإيجاد المرافق العامة وغيرها. وكذلك كل ما كان واجبًا كفائيًا على الأمة ويعجز عنه الأفراد كان واجبًا على الدولة القيام به نيابة عن الأمة، عملًا بالقاعدة الشرعية: (**ما لا يتم الواجب به فهو واجب**).

فالجهاد فرض على المسلمين، وإنشاء مصانع الأسلحة اللازمة للجهاد يعتبر واجبًا كفائيًا عليهم من باب دلالة الاقتضاء، وهذا الواجب ينتقل وجوبه على الدولة عند عجز الأفراد عن القيام به. ويقتضي أيضًا إنشاء البنية الصناعية اللازمة للأسلحة، وهي لا تتم إلا بوجود البنية التحتية الصناعية للآلات التي تصنع الآلات ولمصانع تصنيع المواد اللازمة للتسليح، كمصانع الحديد النحاس والرصاص والبارود وغيرها من المواد.

والتصنيع كذلك هو من الواجبات الكفائية على الأمة، ولا يتم هذا الواجب إلا من خلال إنشاء البنية التحتية الصناعية، وما دام هذا الواجب يعجز الأفراد عن القيام به فينتقل الوجوب للدولة، فعلى الدولة أن تقوم بإنشاء البنية التحتية اللازمة للصناعة وإقامة المصانع الثقيلة التي يعجز الأفراد عنها. أما الصناعات التي يستطيع الأفراد إنشاءها، فالأولى أن لا تقوم الدولة بالمنافسة الصناعية والتجارية للأفراد؛ لأنها دولة راعية للشؤون وليست تاجرًا.

أرباح الصناعات الثقيلة:

عندما تباع السلع والمنتجات التي تنشأ عن المصانع المملوكة للدولة في الأسواق الداخلية والخارجية، تحصل الدولة منها -بشكل طبيعي- على أرباح تكون موردًا إضافيًا لبيت المال. وتحصل الدولة أيضًا على أرباح بيع بعض الأسلحة للخارج، بشرط أن يكون في بيع السلاح مصلحة للمسلمين ولا يشكل إمدادًا أو إعانةً للعدو، ولا يصل لمن يلي دار الإسلام من المحاربين حكمًا وكانت سياسة حمل الدعوة تقتضي فتح هذه البلاد قريبًا. وبالتالي تحقق المصنوعات المدنية والأسلحة أرباحًا تكون موردًا إضافيًا لبيت المال، وتوضع ضمن واردات ديوان الفيء والخراج.

فتكون الصناعة أحد الموارد الهامة لتغطية نفقات بيت المال، فتغطي ما يلزم من نقص محتمل لنفقات الصناعات الحربية وشحن الجيوش الإسلامية. فضلًا عن أن هذا المورد الجديد -أي الصناعة- يواكب التطور الصناعي الحديث؛ إذ ليس من الحكمة والكياسة ترك مورد اقتصادي رئيس كهذا دون أن يكون منه عائد لبيت المال.

غير أنه يمكن أن تواجهنا عقبة في توفير الأموال اللازمة ابتداء لإطلاق عملية التصنيع الحربي والثقيل. خصوصًا وأننا نتكلم هنا عن تأسيس وإنشاء الصناعة ابتداء، فلا بد من علاج لهذه العقبة أولًا.

٥. توفير الأموال اللازمة للصناعات الثقيلة والصناعات الحربية:

إذا كانت أرباح الصناعات الثقيلة والحربية هي المورد الجديد الذي سيغطي جزءًا من موارد الدولة المالية، يقفز إلى الذهن سؤال وهو: كيف يمكن توفير رأس المال اللازم والكافي لبدء تلك الصناعات وإطلاقها ورعايتها بالحصول على التكنولوجيا المتقدمة وتوفير المواد الخام وتدريب المؤهَّلين حتى تبدأ تلك المصانع بالإنتاج؟

ويتم التصدي - في رأينا - لهذه الإشكالية لتوفير المال اللازم لإطلاق الصناعات الثقيلة والحربية بالطرق التالية:

أ- جواز اشتراك الأفراد مع الدولة في المصانع الثقيلة:

ينتج عن بعض موارد الملكية العامة كالنفط والغاز والذهب والحديد وغيرها أموال توزَّع عينًا أو نقدًا على رعايا الدولة، ويمكنهم إنفاق هذه الأموال في شؤونهم الخاصة أو استثمارها. وهناك طريقة مناسبة لاستثمار الأموال التي تفيض عن حاجة الناس في الصناعة، فيمكن أن يصار إلى إنشاء «صندوق خاص بأموال الرعية من الملكية العامة»؛ بحيث توضع في هذا الصندوق الأموال الناتجة من الملكية العامة، تكون رصيدًا لأفراد الرعية يخصم منه أثمان الكهرباء والمياه وخدمات المجاري والنفايات وغيرها، وما تبقَّى من أموال، يمكنهم استثمارها في مصانع الدولة بدلًا من استلامها نقدًا.

ب- تشجيع رعايا الدولة على استثمار أموالهم في مصانع الدولة الثقيلة:

تقوم الدولة بتشجيع الأفراد وبالأخص الأغنياء من أصحاب رؤوس الأموال - برضاهم واختيارهم - للاشتراك في مصانع الدولة، وفي هذه الحالة يكونون «شركاء مال» في هذه المصانع.

وهذه المشاركة من الرعية للدولة في المصانع الثقيلة تحقق عددًا من الأهداف:

- توفير جزء من الأموال اللازمة لتمويل إنشاء وتشغيل المصانع الثقيلة.
- تجنُّب فرض ضرائب على الأمة، بغرض إنشاء الصناعات الثقيلة ابتداء، إلا في حالات الضرورة، وهذا المخرج المذكور يوفر بعض

الأموال دون الحاجة للضرائب أو يخفف منها.

- حل مشكلة كنز المال الذي حرمته الشريعة، وهو مخرج -بشكل مخصوص- للأفراد الذين لا يستطيعون استثمار أموالهم.
- انتفاع الدولة وشركائها من أفراد الأمة من أرباح منتجات الصناعات الثقيلة، مما يرفع من مستوى معيشتهم.

ج - استفادة بيت المال من مورد الزكاة

يستفيد بيت المال من الزكاة الواجبة على أرباح بيع منتجات هذه الصناعات من المسلمين، في حالة تحققت الشروط الشرعية لدفع زكاة عروض التجارة.

٦. سياسة الدولة بين الرعوية والربح التجاري

إن المحرك الأساسي للصناعات المدنية -في العادة- هو الربح، ولكن قيام الدولة باستغلال أملاكها وبيع مصنوعاتها يجب أن يغلب عليه جانب رعاية شؤون الناس بقضاء مصالحهم وتوفير حاجاتهم، فيجب أن تكون الصناعات التي تنشئها الدولة يقصد منها جانب رعاية شؤون الناس؛ لأن الأصل هو الرعاية وليس التربُّح؛ فلا تكون الدولة تاجرًا أو منتجًا أو رجل أعمال.. وليس معنى القول بأن الرعوية وليس الربح هي المحرك الأساسي للصناعة، أن يؤدي ذلك إلى خسائر للدولة، فتغدو الصناعة عبئًا على بيت المال بدلًا من أن تكون موردًا له. وإذا كانت الصناعة كمورد مالي قد تتنازعها هاتان النظرتان، فإن حلَّ هذا التعارض الظاهري يكون بقيام الدولة بتغليب جانب الرعاية، من خلال الإجراءات التالية:

- تلبية حاجات الأمة الأساسية والكمالية مما هو غير متوفر في الأسواق بشكل عادي.
- التركيز على إنشاء الصناعات الثقيلة التي يعجز عنها الأفراد.
- تقصد الإنتاج في الصناعات غير المرغوبة من الأفراد، لعدم وجود ربح مناسب، أو أن فيها مخاطرة عالية، أو يحتاج إنتاجها لوقت طويل.
- منع تحكم فرد أو جهة في سلع أساسية لازمة للناس، فيكون بمثابة الاحتكار.
- كسر احتكار الدول الخارجية للسلع الأساسية التي يلحق فقدانها ضررًا بالأمة.
- أن تكون أسعار منتجات مصانع الدولة ملائمة لقدرة الناس، وليست أسعارًا تجارية.
- بيع السلع خارجيًا بأسعار مناسبة للدول التي نطمع بنشر الدعوة فيها تأليفًا لقلوب أهلها.

والدولة ستجني أرباحًا من بيع المنتجات الصناعية في كل الأحوال، وهي تأتي كتحصيل حاصل وكأمر ثانوي وتابع لعمليات البيع والتجارة وفقًا للنظرة الرعوية. وهذه الأرباح ستشكل موردًا جديدًا ودائميًا لبيت المال، ينفقه الخليفة على رعاية مصالح الناس وعلى الجهاد في سبيل الله.

٧. تجنب الفساد المالي في الدولة

تحصينًا لرجال الدولة من أي فساد

مالي، يجب حظر قيام الولاة ورجالات الدولة بالمتاجرة أو منافسة أبناء الأمة في أعمالهم التجارية؛ لأن قيام الدولة باستغلال أملاكها يجب أن يظهر فيه جانب رعاية شؤون الناس؛ لذلك، وحتى لا يصبح رجال الدولة تجارًا ورجال أعمال أو محتكرين أو فاسدين، خاصة في ظل الصناعات الثقيلة المملوكة للدولة والتي تدرُّ أرباحًا طائلة لبيت المال، مما قد يُغري بعض ضعاف النفوس وقليلي التقوى من موظفي الدولة، فيكون ذلك مدخلًا للفساد المالي! فالأحوط فصل صناعات الدولة عن تحكم الولاة والعمال؛ فيصار إلى منعهم من التدخل في شؤون هذه الصناعات ماليًا.

كان عمر رضي الله عنه يحصي على الولاة والعمال أموالهم قبل أن يوليهم وبعد انتهاء ولايتهم، فإن وجد عندهم مالًا زائدًا أو حصلت عنده شبهة في ذلك صادر أموالهم أو قاسمهم عليها.

ورد في كتاب الأجهزة أن إدارة المصانع الثقيلة يقوم بها «مدير عام شؤون صناعات الدولة»، فهو المكلف من الخليفة بالإشراف على جميع شؤون الصناعات التابعة للدولة، وعلى بيع هذه المنتجات داخليًا، وربما خارجيًا. ويجب أن تكون جميع نفقات الشؤون الصناعية وأرباح منتجاتها خاضعة لمساءلة ومحاسبة خازن بيت المال، وأن تتوفر بشفافية جميع البيانات والمعلومات عند طلب مجلس الأمة أو بعض أفرادها لذلك؛ إذ إن من حق هذا المجلس محاسبة الحكام والمدراء ومساءلتهم عن جميع الواردات والنفقات في الدولة. كما ويجب أن تتبنى الدولة في نظام العقوبات أحكامًا تعزيرية مشدَّدة على من يثبت فساده المالي من الحكام (مال الغُلول)

خاتمة:

وعليه يتضح بأن الصناعة ستشكل موردًا جديدًا ودائميًا لبيت المال، يجنب احتمال قصور موارد الدولة الأخرى عن سد النفقات اللازمة للتسليح والجهاد، ويجنب الدولة القيام بفرض ضرائب أو حمى الملكيات العامة. فضلًا عن أن بناء الدولة صناعيًا يرفع من مستوى الأمة اقتصاديًا، ويجعلها ذات شأن أمام الأمم الأخرى؛ مما يساعد في حمل الدعوة، وفي صيرورة الدولة الإسلامية نموذجًا ناجحًا يُحتذى به في تطبيق أنظمة الإسلام ويُسعى لتقليده. وهو في الوقت نفسه يوضح للمسلمين معنى فقه التجديد، ومعنى الإبداع في حل المشكلات.

ندعو الله تعالى أن يعجل بقيام دولة الاسلام التي يُعَز فيها المسلمون، وأن يكون إمامها جنة لهم يقاتَل من ورائه ويتَّقى به، فينشئ لهم الصناعات الثقيلة التي تنهض بالاقتصاد وتسعد العباد، ويقوم بإعداد القوة اللازمة التي ترهب عدوهم، وتعينهم على فتح بلاده. اللهم آمين . ■

جلسة تصوير لعارضات أجنبيات شبه عاريات في «العلا» التابعة إداريًا للمدينة المنورة

نشرت النسخة العربية من مجلة «فوغ» الشهيرة المتخصصة في الأزياء والفجور صورًا لجلسة تصوير لعارضات أزياء أجنبيات شبه عاريات في منطقة «العلا» التي تتبع المدينة المنورة في السعودية تحت عنوان: «كواليس ٢٤ ساعة قضتها «مونو» في تصوير حملتها الجديدة التي تتصدرها كيت موس بالسعودية» قالت المجلة: «قليلة هي الصور الجديرة بأن نصفها فور مشاهدتها بكلمة (أيقونية). وأضافت أن تلك الصور هي «بالتحديد تلك التي لها القدرة على إشعال الخيال، وإثارة سؤال: «ماذا لو..؟». وأشارت إلى أن صور عارضات الأزياء «تشهد على قوة الأنوثة، وروح التعاون، والرغبة في التحليق إلى أبعد مدى، وهي العوامل التي بثّت كلها روحًا جديدة في الأراضي القاحلة».

وتقع العلا في شمال غرب السعودية وتتبع منطقة المدينة المنورة إداريًا، وتبعد عنها نحو ٣٠٠ كيلومتر تقريبًا. وتم إنشاء الهيئة الملكية لمحافظة العُلا بموجب أمر ملكي في يوليو/ تموز ٢٠١٧م «بهدف تطوير محافظة العلا على نحو يتناسب مع قيمتها التاريخية ومواقعها التراثية ومناظرها الطبيعية وتراثها الإنساني». ويرأس ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان مجلس إدارتها. وأقيمت فيها حفلات موسيقية في المنطقة ضمن مهرجان شتاء طنطورة الذي أقيم منه موسمين عامي (٢٠١٨ و٢٠١٩)م.

الوعي: إن هذا الخبر ومثله مما يشابهه ويرعاه الأمير بن سلمان، من الطبيعي أن يثير الغضب الواسع لدى المسلمين، وأهل الحجاز تحديدًا، ولكن هذا الغضب يجب أن يكون شاحذًا لهمتهم للعمل على تغييرهم وإقامة حكم الله في هذه الأراضي المقدسة، ومَن أكثر حاجة للتأسي بالرسول ﷺ منهم. فيا أيها العلماء في أرض الحجاز قوموا وعوِّضوا تقصيركم بالعمل الجاد لإقامة دولة الخلافة التي بغيابها أصبحت بلاد المسلمين مرتعًا للفساد والفجور.

تعديلات قوانين في السودان تضمنت إباحة الخمر لغير المسلمين وإلغاء مادة الردة

أُعلن في السودان عن عدد من التعديلات على بعض القوانين تحت اسم «التعديلات المتنوعة»، مست أحكامًا شرعية تعتبر قطعية؛ ما أوجد غضبًا عارمًا ونقدًا شديدًا من أحزاب إسلامية وقادة دينيين، ومسلمين على شبكات التواصل الاجتماعي من داخل السودان وخارجه... وصل حد المطالبة بإسقاط النظام الحاكم، بينما التزمت القوى والأحزاب المؤيدة للحكومة

الصمت. وتمثَّلت التعديلات المثيرة للجدل والتي نشرت في الجريدة الرسمية في إلغاء مادة «الردة» من القانون الجنائي لعام ١٩٩١م، واستبدالها بمادة تجرّم التكفير وتعاقب مرتكبها بالسجن ١٠ سنوات، كما أباحت شرب الخمر لغير المسلمين فيما بينهم، بينما أبقت على تعريض المسلم للعقاب حال تعاطيه. ومنحت الأم حق السفر مع أطفالها دون الحاجة للحصول على موافقة والدهم، وهو ما كان محظورًا بنص القانون. ونصت التعديلات كذلك على إعادة تعريف «الدعارة» باعتبار أن النص السابق كان فضفاضًا؛ حيث قالت المادة الجديدة «يعد مرتكبًا جريمة الدعارة من يوجد في مقر معد لتقديم الدعارة أو أي خدمة جنسية بمقابل مادي». وإلغاء عقوبة الجلد إلا في الجرائم الحدية والقصاص، حيث كان القانون السابق يوقع عقوبة الجلد في مسائل تتصل بتعاطي الخمر وصنعها. وفي ردود الفعل على هذه التعديلات كان لافتًا حثّ الداعية المعروف عبد الحي يوسف -في تغريدة على تويتر- من أسماهم شرفاء الجيش والشرطة والأمن والدعم السريع على المنافحة عن دين الله وشرعه، وقال «أما البرهان (عبد الفتاح البرهان رئيس مجلس السيادة الانتقالي بالسودان) وحميدتي (الفريق أول محمد حمدان نائب رئيس مجلس السيادة) ومن لفَّ لفَّهما، فلا طاعة لهما ولا كرامة بعدما ظهرت خيانتهما لله ولرسوله»، مضيفًا أن «العمل على اقتلاع هذه الحكومة الفاجرة هو فريضة الوقت وواجب كل قادر». وكان مجمع الفقه الإسلامي رفض التعديلات في مذكرة بعث بها للمسؤولين في الحكومة ولكن وزارة العدل تجاهلت المذكرة كليًا رغم أنها أرسلت قبل الشروع في إجازة التعديلات. وبحسب وزير العدل السوداني نصر الدين عبد الباري فإن القانون المعدل عرض على مجلس السيادة برئاسة البرهان ولم يتم الاعتراض عليه.

الوعي: إن السودان مع حكم البرهان وحميدتي قد ذهبوا أبعد مما كان ينوي أن يقوم به البشير: من محاولات لإقامة علاقة بـ(إسرائيل) ومن تهالك لرفع العقوبات الأميركية عن السودان، ومن الاهتمام بإقامة علاقات طيبة مع السعودية والإمارات وهذا يتطلب منهم أن يقوموا بما يقومون به من ارتماء شبه كامل بين أيدي أعداء الإسلام، والذي تعتبر هذه التعديلات أحد وجوهها.

صحيفة إسرائيلية تحتفي بمحمد بن زايد وعلاقته بإسرائيل: "سلطان الظلال"

ذكرت صحيفة «كلكيلست» (الإسرائيلية) أن حاكم أبو ظبي محمد بن زايد يقف وراء كل مظاهر التطبيع بين الإمارات و(إسرائيل) ووصفته بـ: «سلطان الظلال» وأشارت إلى أن تفجر ثورات الربيع العربي يُعدّ التطور الأبرز الذي دفع بولي به إلى بناء علاقات مع (إسرائيل) وتكريس التعاون الأمني معها بهدف مواجهة «الإسلام المتطرف» وإيران. ونقلت الصحيفة عنه قوله لعدد من قادة اليهود الأميركيين: «الإمارات وإسرائيل تقفان في نفس الخندق في مواجهة إيران» ولفتت الصحيفة إلى أنه يحوز على نفوذ حاسم داخل السعودية، وإلى أنه يتخوف من سقوط المملكة في أيدي «المتطرفين الإسلاميين»، وتحوُّل السعودية إلى قاعدة «لنشر الدعوة الإسلامية» في

نسختها المتطرفة، وهذا بنظره يفوق في خطورته حصول إيران على السلاح النووي. وشددت الصحيفة على أن وصول جماعات الإسلام السياسي للحكم في مصر وتونس في أعقاب ثورات الربيع العربي مثّل سيناريو الرعب الذي فزع منه ابن زايد، ما دفعه إلى اتخاذ خطوات عدة، منها شنّ حملات اعتقال داخل الإمارات ضد الأشخاص الذين يشتبه في انتمائهم إلى هذه الجماعات، ومنها المساهمة في إسقاط حكم الرئيس المصري محمد مرسي خشية أن يتمكن الإسلاميون من السيطرة على الجيش المصري، ولفتت إلى أن أبو ظبي كانت أول من اعترف بشرعية الانقلاب الذي قاده عبد الفتاح السيسي ضد مرسي وسعت إلى دعم وتأمين استقرار النظام. ورأت أن العداء للإسلام السياسي هو الذي دفعه لإعادة علاقات الإمارات بنظام بشار الأسد. وبحسب الصحيفة، فإن ابن زايد برّر في لقاءاته مع مسؤولين أجانب اعتراضه على امتلاك إيران السلاح النووي بمخاوفه من أن هذا التطور يمكن أن يفسح المجال أمام امتلاك جماعات إسلامية متطرفة مثل هذا السلاح في المستقبل.

الوعي: إن محمد بن زايد يتخذ من نفسه عدوًا مبينًا للإسلام، وكل تصرفاته محكومة أولًا بمعاداته... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

صحيفة إسرائيلية تحتفي بمحمد بن زايد وعلاقته بإسرائيل: "سلطان الظلال"

ذكرت صحيفة "كلكيلست" (الإسرائيلية) أن حاكم أبو ظبي محمد بن زايد يقف وراء كل مظاهر التطبيع بين الإمارات و(إسرائيل) ووصفته بـ: "سلطان الظلال" وأشارت إلى أن تفجر ثورات الربيع العربي يُعدّ التطور الأبرز الذي دفع به إلى بناء علاقات مع (إسرائيل) وتكريس التعاون الأمني معها بهدف مواجهة "الإسلام المتطرف" وإيران. ونقلت الصحيفة عنه قوله لعدد من قادة اليهود الأميركيين: "الإمارات وإسرائيل تقفان في نفس الخندق في مواجهة إيران"، ولفتت الصحيفة إلى أنه يحوز على نفوذ حاسم داخل السعودية، وإلى أنه يتخوف من سقوط المملكة في أيدي "المتطرفين الإسلاميين"، وتحوُّل السعودية إلى قاعدة "لنشر الدعوة الإسلامية" في نسختها المتطرفة، وهذا بنظره يفوق في خطورته حصول إيران على السلاح النووي. ورأت الصحيفة أن العداء للإسلام السياسي هو الذي دفعه لإعادة علاقات الإمارات بنظام بشار الأسد. وبحسب الصحيفة، فإن ابن زايد برّر في لقاءاته مع مسؤولين أجانب اعتراضه على امتلاك إيران السلاح النووي بمخاوفه من أن هذا التطور يمكن أن يفسح المجال أمام امتلاك جماعات إسلامية متطرفة مثل هذا السلاح في المستقبل.

الوعي: إن محمد بن زايد يتخذ من نفسه عدوًا مبينًا للإسلام، وكل تصرفاته محكومة أولًا بمعاداته... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

قال الله تعالى

فائدة عن الربا (٣)

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه: عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير

حفظه الله ما يلي:

أما حلّ هذه المشاكل فقد بينها الإسلام بيانًا شافيًا يجعل الإنسان يشعر بالطمأنينة الاقتصادية في جميع مناحي الحياة وينتفع بالثروات انتفاعًا يضمن العيش السليم ورغد العيش دون استعباد العباد أو إفساد البلاد.

فهو نظام من لدن لطيف خبير حكيم عليم، يعلم ما يصلح مخلوقاته وما يسعدهم في الدنيا والآخرة.

أما كيف يعالجها، فهذا بيانه:

١. لقد حرم الإسلام كنز المال، وكنز المال هو جمعه لغير حاجة، بل يجب تشغيله في مشاريع صناعية أو زراعية أو تجارية أو أي وصف آخر يقره الشرع حتى تبقى الثروة متداوَلة متحركة نشطة في المجتمع ينتفع بدخلها صاحبها والعاملون فيها والفقراء من زكاة وباقي الأصناف، وينتفع المجتمع بعامة من مشاريعها.

وبالتالي فتخزين الثروة لغير حاجة أي كنزها دون تشغيلها في مشاريع هو حرام في الإسلام ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾ هذا عن أحوال الأغنياء.

٢. أما من هم في فقر وحاجة:

أ. فقد حثّ الإسلام على إعطاء القرض بدون ربا، وجعل أجر قرض مرتين كصدقة: «**قرض مرتين يعدل صدقة مرة**»[١] أخرجه البزار عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ.

ب. إن كان مدينًا وقد أعسر فلا يستطيع السداد فقد أوجب الإسلام إمهاله ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ﴾ وتندب الصدقة عليه بإعفائه من الدين كله أو بعضه ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ

١ تفسير الطبري: ٢٥/١٦، ٨٥/١٧، تفسير القرطبي: ٣٥٩/٣

خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

ج. جعل للمدين نصيبًا في بيت المال من الزكاة لسداد دينه ﴿ ۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ ﴾.

د. أباح العمل ويسَّر أحكامه وحثَّ عليه وأوجبه على من كان في حاجة ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ الملك/آية١٥ «**ن من الذنوب ما لا يكفرها إلا الهموم في طلب الرزق**»[٢].

٣. ثم يأتي دور الدولة:

أ. فهي التي تتولى سداد الحاجات الأساسية لجميع أفراد الرعية من مأكل وملبس ومسكن، سواء من دخله الذي يأتيه من عمل، أم من إنفاق من يجب عليه نفقته، أم إن لم يكن هذا ولا ذاك فمن بيت مال المسلمين: «**والسلطان ولي من لا ولي له**»[٣].

ب. ثم هي تتولى الملكية العامة من معادن في باطن الأرض كالذهب والحديد والنحاس والبوتاس والفوسفات وغيرها من معادن صلبة أو سائلة كالبترول أو غازية، وتوصل هذه الأموال لأفراد المسلمين كلهم.

ج. وهي تتولى ملكية الدولة من خراج وجزية وغنائم وغيرها وتعطي منها الفقراء دون الأغنياء ﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ الحشر/آية٧.

د. ثم هي تتولى إقراض أصحاب المشاريع بدون ربا أو هبات للمزارعين كما تمّ في عصر الخلفاء الراشدين فتساعدهم على العيش الطيب الكريم.

هـ. وتتولى الدولة فرض الضرائب على أغنياء المسلمين لسدّ حاجة الفقراء وما أوجبه الله على المسلمين إن لم يكن في بيت المال مال.

وفي الختام نقول:

•فإذا كان الغني يحرم عليه كنز ماله بل عليه تشغيله في مشاريع هو يتولاها بعمله وعرقه لينتفع بها الناس من حيث العمل فيها والأثر الاقتصادي على المجتمع، وينتفع بزكاتها الفقراء والمساكين وباقي أصنافهم.

•وإذا كان الفقير تسد حاجاته الأساسية بالعمل أو إنفاق الولي أو نفقة الدولة من بيت المال.

•وإذا كان المدين يمهل للسداد أو يعفى من دينه بعضه أو كله.

•وإذا كان يقرض صاحب المشروع دون ربا أو يوهب هبة.

•ثم إذا كانت الدولة توزع الملكية العامة وهي كثيرة على المسلمين، وتعطي من ملكية الدولة للفقراء دون الأغنياء كي لا تتداول الثروة عند فئة من الأمة - الأغنياء - دون غيرها.

•ثم إن الإسلام لم يترك سد الحاجة للمغامرة والتوقعات، فقد أوجب فرض ضريبة على أغنياء

٢ المبسوط للسرخسي: ٢٥٨/٣٠، كتاب الكسب لمحمد بن الحسن

٣ أحمد: ٤٧/٦، ١٦٥، الموطأ: ١٠٥٣

المسلمين لسد حاجة الفقراء الأساسية والجهاد وكل ما كان واجبًا على المسلمين وبيت المال إن لم يكفِ بيت المال.

أبعد هذا يمكن أن يقال كيف يتصرف بأموال الأغنياء أو تسد حاجة الفقراء إن لم يكن هناك ربا ومرابون يستثمرون أموال الأغنياء بالربا ويقرضون الفقراء بالربا؟

إن المشكلة أن الأنظمة السائدة في عالمنا اليوم خلال هذا القرن العشرين هي أنظمةٌ بشريةٌ رأسماليةٌ أو اشتراكيةٌ قميئةٌ قبيحةٌ سيئةُ السمعة.

أطلقت بعضها - الرأسمالية - العنان للملكية الخاصة ولم تعترف بغيرها وجعلتها تحوز المال بأية وسيلة هابطة رديئة تحطم القيم وتدمر المجتمع، وجعلوا عصب حياتهم الربا فانتفخت بطون أصحاب الشركات وبيوت المال وهيمنت حتى على الحكم ومناحي الحياة واستعبدت البلاد والعباد ممن ساروا في فلكها واستنوا سنتها.

ومنع بعضها - الاشتراكية - الملكية عمومًا وحصرتها في الدولة، فنقلت حفنة الجشعين المنتفخين من الشركات إلى الحكام ورؤساء الأحزاب الحاكمة فامتصُّوا خيرات الناس وعاثوا في الأرض الفساد من خلال هذا النظام الاقتصادي العفن.

فأين هذا من نظام وضعه رب العالمين فردّ الأمور إلى نصابها ووضعها في الموضع الذي يجب أن تكون فيه؟... فالخالق هو سبحانه الذي يعلم ما فيه خير مخلوقاته:

= فكانت الملكية الخاصة.

= وكانت الملكية العامة.

= وكانت ملكية الدولة.

كلها تسير في انتظام حسب أحكام الشرع دون أن تطغى واحدة على أخرى أو تتجاوز حدها، في نظام عادل من حكيم خبير، ينفق فيه المال حلالًا طيبًا:

•يؤدى منه فرض الله سبحانه.

•ويؤدى منه فرض نفقة المرء ومن يعول من أهله.

•ويتصدق به فوق الفرض إحسانًا على الفقراء والمساكين وذوي الحاجة.

•ويتم ذلك في غير فساد ولا إفساد ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾.

نظام اقتصادي يورث السعادة لبني البشر ويجعل الحياة الدنيا طريقًا حلوةً ممتعةً لنعيم الآخرة، لا جشعٌ فيها ولا ربًا ولا استغلالٌ، بل تكون رغدًا حلالًا طيبًا من العيش، سلامًا وأمنًا من الله ومع الله القوي العزيز، الحكيم الخبير، بطاعته سبحانه وطاعة رسـوله - صلوات الله وسلامه عليه - لا حربًا مع الله ورسوله وولوغًا في الجريمة والفحشاء.

هذا هو الحق وليس بعد الحق إلا الضلال، والحمد لله رب العالمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس (١)

- روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زهير قال: أُخبرت أن أبا بكر ﷺ قال: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ فكل سُوءٍ عملنا جُزِيْنَا به؟ فقال رسول الله ﷺ: **«غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكرٍ، أَلَستَ تَمرَضُ؟ أَلَستَ تَنصَبُ؟ أَلَستَ تَحزَنُ؟ أَلَستَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟»** قَالَ: بَلَى، قَالَ: **«فَهُوَ مَا تُجزَونَ بِهِ»**.

- روى أحمد والبيهقي وحسنه الترمذي عن آمنة بنت عبد الله قالت: سألت عائشة عن هذه الآية: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ فقالت: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: **«يا عائشة، هذه مبايعة الله العبد بما يصيبه من الهم والحزن والنكبة، حتى البضاعة يضعها في كفه فيفقدها فيفزع لها فيجدها تحت ضبنه، حتى إن العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير"**.

- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»**.

- روى الترمذي في سننه من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

- روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«إِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ المَنزِلَةُ عِندَ اللهِ فَمَا يَبلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَبتَلِيهِ بِمَا يَكرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ ذَلِكَ»**... وروى إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَهْدِيٍّ السَّلَمِيُّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ"** قَالَ أَبُو دَاوُد: زَادَ ابْنُ نُفَيْلٍ: **«ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ»**، أي: فلَم يَكُنْ شاكِيًا مُتسخِّطًا، ثُمَّ اتَّفَقَا: **«حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ**

تَعَالَى» فيَكونُ هذا مِن توفيقِ اللهِ للعَبدِ إلى الطَّاعاتِ، حتَّى يُبلِّغَه المنزِلةَ الكريمةَ الَّتي أعَدَّها له سبحانه. وفي الحديثِ: بَيانُ أثَرِ الصَّبرِ على المصائِبِ في رَفعِ الدَّرَجاتِ.

- روى الترمذي في سننه من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ».**

- عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمؤمِنَةِ في نَفْسِهِ وَولَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّه تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».** رواه التِّرْمِذيُّ وَقالَ: حديثٌ حسنٌ صحِيحٌ.

- روى البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: **«إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فأعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فأعْطَاهُمْ حتَّى نَفِدَ ما عِنْدَهُ، فَقَالَ: ما يَكونُ عِندِي مِن خَيْرٍ فَلَنْ أدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، ومَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وما أُعْطِيَ أحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».**

ذكر الْقُرْطُبِيّ فقال: كما في فتح الباري **«وَمَنْ يَتَصَبَّرْ»** أَيْ: يُعَالِج نَفْسه عَلَى تَرْك السُّؤَال، وَيَصْبِر إِلَى أَنْ يَحْصُل لَهُ الرِّزْق، **«يُصَبِّرهُ اللَّه»** أَيْ: فَإِنَّهُ يُقَوِّيه، وَيُمَكِّنُه مِنْ نَفْسه؛ حَتَّى تَنْقَادَ لَهُ، وَيُذْعِنُ لِتَحَمُّلِ الشِّدَّة؛ فَعِنْد ذَلِكَ يَكُون اللَّه مَعَهُ، فَيُظْفِرهُ بِمَطْلُوبِهِ. وذهب العيني -كما في عمدة القاري - إلى ما هو أشمل من ذلك وفيه: الحثُّ على الصبر على ضيق العيش، وغيره من مكاره الدنيا.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله عليه الصلاة والسلام **«ومن يتصبَّر يصبِّره الله»**، عام يشمل جميع أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في (بهجة قلوب الأبرار): إن الصبر إذا أعطاه الله العبد، فهو أفضل العطاء، وأوسعه، وأعظمه إعانة على الأمور، قال تعالى:

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: على أموركم كلها. والصبر كسائر الأخلاق، يحتاج إلى مجاهدة للنفس وتمرينها؛ فلهذا قال: **«ومن يتصبَّر»** أي: يجاهد نفسه على الصبر، **«يصبِّرْه الله»** ويعينه، وإنما كان الصبر أعظم العطايا؛ لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته، وكل حالة من أحواله التي تحتاج إلى صبر: فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله؛ حتى يقوم بها، ويؤديها، وإلى صبر عن معصية الله؛ حتى يتركها لله، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخَّطها، بل إلى صبر على نعم الله، ومحبوبات النفس، فلا يدَع النفسَ تمرح وتفرح الفرح المذموم، بل يشتغل بشكر الله، فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر. وبالصبر ينال الفلاح؛ ولهذا ذكر الله أهل الجنة، فقال:

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤ ﴾ وكذلك قوله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ فهم نالوا الجنة بنعيمها، وأدركوا المنازل العالية بالصبر، ولكن العبد يسأل الله عافية من الابتلاء الذي لا يدري ما عاقبته، ثم إذا ورد عليه، فوظيفته الصبر، فالعافية هي المطلوبة بالأصالة في أمور الابتلاء والامتحان، والصبر يؤمر به عند وجود أسبابه، ومتعلقاته، والله هو المعين.

والله سبحانه وعد الصابرين في كتابه، وعلى لسان رسوله أمورًا عالية جليلة: وعدهم بالإعانة في كل أمورهم، وأنه معهم بالعناية، والتوفيق، والتسديد، وأنه يحبهم، ويثبت قلوبهم، وأقدامهم، ويلقي عليهم السكينة، والطمأنينة، ويسهل لهم الطاعات، ويحفظهم من المخالفات، ويتفضَّل عليهم بالصلوات، والرحمة، والهداية عند المصيبات، والله يرفعهم إلى أعلى المقامات في الدنيا والآخرة... وعدهم النصر، وأن ييسِّرهم لليسرى، ويجنِّبهم العسرى، ووعدهم بالسعادة، والفلاح، والنجاح، وأن يوفيهم أجرهم بغير حساب، وأن يخلف عليهم في الدنيا أكثر مما أخذ منهم من محبوباتهم وأحسن، يعوضهم عن وقوع المكروهات عوضًا عاجلًا يقابل أضعاف أضعاف ما وقع عليهم من كريهة ومصيبة... والصبر في ابتدائه صعب شديد، وفي انتهائه سهل حميد العواقب، كما قيل: والصبر مثل اسمه مُرٌّ مذاقته... لكن عواقبه أحلى من العسل.

ونختم بذكر نبيِّنا محمد ﷺ سيد الأوَّلين والآخِرين، والمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقد ابتلي بالمرض رِفعَةً لدرجاته، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسَسْتُهُ بيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**» فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «**أَجَلْ**»... وذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما أن النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه أُغمي عليه ثلاث مرات، قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

قال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس، وكان السلف يفرح أحدهم بالبلاء، كما يفرح أحدنا بالرخاء. وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: استوى الناس في العافية، فإذا نزل البلاء تباينوا».

قال شريح: ما أصابتني مصيبة إلا حمدت الله تعالى عليها لأربع: أن الله رزقني الصبر عليها، وأن الله رزقني الاسترجاع عندها، وأن الله لم يجعلها أكبر منها، وأن الله لم يجعلها في ديني. ■

عبد الله بن أُنَيْس الجهني... صحابي المهمات الخاصة

نشأ عبد الله بن أُنَيْس في يثرب حليفًا لبني سلمة حتى غدا كأنه أحد أبنائها، وقد أكرمه الله بالسبَق في الإسلام، فكان ممن آمن على أيدي من بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى، وسرعان ما انضم إلى صفوف الدعاة، فأخذ يدعو الناس وينصحهم؛ حتى إذا جاء موسم الحج، خرج مع قومه إلى مكة، وبايع رسول الله ﷺ في بيعة العقبة الثانية على نصرة الله ونصرة رسوله... وما إن عاد إلى يثرب حتى بدأ بالعمل... فخرج مع بعض أصحابه إلى أصنام بني سلمة وحطَّموها، وعندما رأى بنو سلمة أوثانهم محطَّمة خافوا أن تنتقم منهم؛ لكن الأيام مرَّت بسلام، فأدركوا أن هذه الأوثان لا تضر ولا تنفع، فأخذوا يدخلون في دين الله أفواجًا...

وفي شهر المحرم من السنة الرابعة للهجرة بلغ مسامعَ المسلمين أن خالد بن سفيان زعيم هُذيل يُعِدُّ العدّة لغزو المدينة المنورة، ويجمع الجموع في مكان قريب من المدينة يدعى "نخلة"، ورأى رسول الله ﷺ أن هذه القبائل تجتمع حول خالد بن سفيان، فإذا قُتل خالد تفرق الجمع وانتهى الأمر، وفكَّر فيمن ينتدبه لهذه المهمة، فاستدعى عبد الله بن أُنَيْس وأجلسه بجانبه وقال له: **إنه قد بلغني أن ابن سفيان يجمع لي الناس ليغزوَني، وهو بنخلة، فأْتِهِ فاقتُلْه.** قال: صِفْه لي يا رسول الله حتى أعرفه! فقال ﷺ: «إذا رأيته وجدتَ له قشعريرة». وأدرك الجندي أمر قائده، لكن كيف الوصول إلى خالد بن سفيان والاقتراب منه لقتله؟! قال عبد الله: يا رسول الله، لابد لي في مهمتي هذه أن أقول. [أي أن أخدع الرجل ببعض الكلام حتى أتمكّنَ منه] **فأشار له رسول الله أن يقول ما بدا له، فالحرب خدعة.**

وانطلق عبد الله إلى أداء مهمته حتى وصل "نخلة" فوجد خالد بن سفيان مع بعض نسائه يختار لهن منزلًا. قال: فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله من القشعريرة، فأقبلت نحوه وخشيتُ أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصّلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه أُومِئُ برأسي للركوع والسجود، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل؟. قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك (أي جئت لأناصرك على الرسول) قال: أجلْ، أنا في ذلك، قال: فمشيت

معه شيئًا، حتى إذا أمكنني حملتُ عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجتُ وتركتُ ظعائنه مُكبّاتٍ عليه، فلما قدمتُ إلى رسول اللّه فرآني قال: «**أفلح الوجه**». قال: قلت: قتلتُه يا رسول الله. قال: ثم قام معي رسول اللّه ﷺ فدخل في بيته، فأعطاني عصًا فقال: «**أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أُنيس**». قال: فخرجت بها على الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول اللّه، وأمرني أن أُمسكها، قالوا: أَوَلا ترجِع إلى رسول اللّه فتسأله عن ذلك. قال: فرجعت إلى رسول الله فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «**آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة، إنّ أقل الناس المتخصرون يومئذٍ**». قال: فقَرَنَها عبد الله بسيفه فلم تزل معه، حتى إذا مات أمر بها فضُمَّت في كفنه، ثم دفنا جميعًا.

ومنذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، ووضع اللبنة الأولى للدولة الإسلامية، ما لبث اليهود أن كشّروا عن أنيابهم وأخذوا يكيدون للإسلام وأهله، وكان من أشد الناس عداوة لله ورسوله ملك يهود: أبو رافع سلاّم بن أبي الحُقيق أخو بني النضير، فقد أخذ يحرِّض على قتل النبي، ويحثّ الأعراب على غزو المدينة ونهبها، ويوفد الوفود للقبائل يدعوها للتحالف مع يهود للانقضاض على المسلمين... فرأى رسول الله ﷺ أن أبا رافع يستحق الموت جزاء ما يفعل، فانتدب جماعة من أصحابه فيهم عبد الله بن أُنيس، وجعل عبد الله بن عَتيك رئيسًا لهم لأنه يتقن لغة اليهود...

وانطلقت المجموعة الفدائية إلى هدفها ليلة النصف من جمادى الآخرة سنة ست للهجرة، فكانوا يسيرون ليلًا ويكمنون نهارًا كي لا يُكتَشف أمرهم حتى وصلوا خيبر، فكمنوا حتى جنّ عليهم الليل، واستطاع ابن عَتيك أن يدبّر أمر دخولهم إلى حصن اليهود دون أن يشعر بهم أحد، فانتظروا حتى نام من في الحصن وهدأت الأصوات، ثم تقدَّموا حتى وصلوا غرفة سلاّم بن أبي الحُقيق، فانقضُّوا عليه في فراشه وتناوشوه بسيوفهم في الظلام، فأصابوه لكنه لم يمت، فما كان من عبد الله بن أُنيس إلا أن تقدَّم بثبات وأنفذ السيف في أحشائه حتى قتله، وأخذت زوجة ابن أبي الحُقيق تصرخ فهُرع مَن في الحصن إليها، وأسرع المجاهدون بالنزول، فانزلق ابن عَتيك وكُسرت رجله، فحمله عبد الله بن أُنيس فخرج به من الحصن، وافتقد عبد الله بن أُنيس قوسه، وظن أنها سقطت منه في الحصن، فعاد ودخل واختلط برجال الحصن وتظاهر أنه يبحث عن القاتل مثلهم حتى وجد قوسه فأخذها وانسلَّ خارجًا بسلام!.

وعاد الفدائيون إلى المدينة، فلما رآهم رسول الله ﷺ ابتسم وقال: «**أفْلَحَتِ الوجوه**»

فقالوا: أفلح وجهُك يا رسول الله. وتحلّق الصحابة حولهم يستمعون لما كان منهم، وتنازع الفدائيون فيمن قتل سلاّم بن أبي الحُقيق، فكلٌّ يقول: سيفي هو الذي قتله، فطلب رسول الله ﷺ سيوفهم فاستعرضها ثم قال: «**لَسيفُ عبد الله بن أنيس هو الذي قتله! أرى فيه أثر الطعام**»

واجتمع اليهود بعد قتل مليكهم، واختاروا لهم ملكًا جديدًا هو اليُسير بن رزام، وكان معروفًا بالخديعة والمكر، وسار اليُسير على خطى من سبقه يحرِّض الأعراب والقبائل المجاورة على إعداد العدة لقتال المسلمين ويبذل المال لهم لهذه الغاية حتى وصلت أخباره إلى المدينة، فشاور النبي أصحابه في أمره فقرروا أن يرسلوا إليه وفدًا لإقناعه بالكف عن التآمر على المسلمين ليجنّب قومه الحرب، فخرج عبد الله بن رواحة على رأس وفد، فيه عبد الله بن أنيس، حتى وصلوا خيبر، فتحدثوا إلى اليُسير بن رزام، وأقنعوه أن يأتي معهم إلى المدينة ليأخذ الأمان لقومه من رسول الله، فاختار اليُسير مجموعة من شباب يهود وخرج معهم بصحبة المسلمين إلى المدينة، وأركب كل واحد من المسلمين أحد اليهود معه على راحلته، فكان اليُسير رديف عبد الله بن أُنيس، وسار الركبُ نحو المدينة.

وفي الطريق أخذ اليُسير يفكر في أمره مع المسلمين، فحدّثته نفسه بالغدر، فقرر أن يقتُل عبد الله بن أُنَيْس، فيقوم مرافقوه بقتل من معهم من المسلمين، ثم يعودون إلى خيبر! فهجم بسرعة على سيف عبد الله بن أنيس يريد أن ينتزعه منه، وهو يصيح: يالثارات اليهود!؛ لكن عبد الله بن أنيس كان حذرًا فسلَّ سيفه وضرب به ساق عدو الله، فما كان من اليُسير إلا أن ضربه بعمود من خشب فشدخ رأسه، وتمالك ابن أنيس على نفسه وكرّ على الغادر فقتله، وبادر بقية اليهود، كلٌّ يريد أن يفتك بصاحبه من المسلمين، فأجهز المسلمون عليهم، ولم ينجُ منهم إلا رجل واحد فرَّ عائدًا إلى خيبر، وعاد المسلمون إلى مدينة رسول الله يحدثونه عن غدر اليهود بهم، وما ذاقوه نتيجة خداعهم...

إنها فراسة النبي ﷺ في أصحابه، وتكليف كل منهم بما هو أهل له، وإن عبد الله بن أُنَيْس ليمثل نوعًا من الجندية العالية من صنوف الجهاد... وقد روى له البخاري في الأدب المفرد، والإمام مسلم وأصحاب السنن الأربعة، وقد روى عن النبي أربعة وعشرين حديثًا، قال ابن حجر مات بالشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة أربع وخمسين.

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾. ■

المنظمة الدولية للفرنكوفونية وجه من وجوه الاستخبارات الفرنسية

صادق مجلس نواب الشعب في تونس في ٢٠٢٠/٦/٣٠م على الاتفاق المبرم بين حكومة الجمهورية التونسية والمنظمة الدولية للفرنكوفونية في ٢٠١٩/٤/١٥م، بشأن انتصاب (إقامة) مكتب إقليمي لشمال أفريقيا للمنظمة في تونس، وقد أبرم بشكل سري من قبل الحكومة، ومُرِّرَ للتصديق عليه من قبل مجلس الشعب بشكل مريب، إذ تم عرضه للتصويت عليه فجأة ومن غير مقدمات، ومن غير إطلاع النواب المسبق عليه ولا دراسته ولا معرفة خلفياته، وجرى التبصيم عليه بـ ١٢٤ صوتًا موافقاً، مقابل رفضه بـ ١٥ صوتًا، واحتفاظ ٤ نواب بأصواتهم. والغالب أن معظم هؤلاء النواب الذين صادقوا عليه كانوا يعرفون مسبقاً ماذا يحوي هذا الاتفاق خاصة وأن لهم أحزابهم الممثلة في الحكومة ومنهم حركة النهضة التونسية.

إن الذي يطلع على هذا الاتفاق لَيتساءل: هل هو اتفاق مع منظمة ثقافية أم مع جهاز استخبارات دولي؛ لِيدرَكَ بعدها لماذا اتُّبع هذا الأسلوب المخابراتي في إقراره... فما هي حيثيات هذا الاتفاق المشبوه؟

إنه اتفاق يسمح للمنظمة الدولية للفرنكوفونية بإحداث مركز إقليمي لها يغطي شمال أفريقيا ليقوم بنشاطاته المفروض أنها نشاطات لغوية وثقافية، ولكن يبدو أن مواد هذا الاتفاق وبنوده هي لمركز مخابرات إقليمي ليتم التجسس عبره على تونس ومختلف بلدان شمال أفريقيا من قبل فرنسا!. من بنود الاتفاقية:

ففي (المادة ٣) يعطي القانون الحصانة القضائية لأفراد هذه المنظمة التي تمنع محاكمتهم أو القبض عليهم مهما كانت أعمالهم مخالفة للنظام التونسي من تجسس وحمل سلاح واقتناء مخدرات... هكذا وبشكل مفتوح! فلماذا مثل هذه الحصانة إذا كانت أعمال هذه المنظمة ثقافية؟!.

وفي (المادة٤) تتمتع حتى موجودات هذا المركز للحصانة، فيمنع تفتيشها وحجزها ومصادرتها مهما كانت هذه الموجودات مخالفة للقانون التونسي، ولو كانت مخدرات أو أجهزة تجسس أو سلاح... هكذا وبشكل مفتوح! فما دخل ذلك بالثقافة؟!.

وفي (المادة ٥) يذكر أن حرمة المقرات مصونة، أي يمنع أي دخول لموظفي الدولة إلى مقرات المنظمة إلا بإذن مسؤولين فيها. فهل مثل هذا البند يتعلق بمنظمة ثقافية أم بمنظمة سرية أعمالها مشبوهة خطيرة، تريد أن تؤمن على حماية المقرات وما تحويه... فهل الكتب والمنشورات الثقافية تحتاج إلى مثل هذه الحماية؛ إلا أن يكون وراء الأكمة وا وراءها؟!.

وفي (المادة ٦) نص على حماية الأرشيف والوثائق التابعة للمنظمة أينما كانت، أو حائزها أيًّا كان، فهل يوضع هكذا بند إلا أن يكون وراء ذلك عمل تجسسي خطير؟!.

وفي (المادة ٧) منع أي رقابة مالية عليه، وذلك بالسماح له بإدخال أموال أو إخراجها أو نقلها ومنع مصادرتها!!!! وهل يحتاج العمل الثقافي إلى مثل هذا البند، أم أنها أموال لشراء الذمم

والإنفاق على التجسس؟!

وفي (المادة ٨و٩): يعفى المكتب الإقليمي وموجوداته وإيراداته وممتلكاته من الضرائب المباشرة وغير المباشرة. وكذلك (المادة ١٠) تعفى جميع المواد التي يستوردها من النظام الجمركي. وهذه المواد فيها جانبان: الأول مالي، والثاني الحفاظ على سريتها فلا تعرف لأنها قد تكون ممنوعة بحسب القانون التونسي، أو متعلقة بالتجسس أو بأي عمل قد يكون انقلابياً ضد الدولة...

وفي (المادة ١١) نص على أن الموظف التابع للمنظمة لا يفتش مهما كان يحمل من مواد تخلُّ بالأمن...

وفي (المادة ١٢) تضمن الحكومة حرمة اتصالات المكتب وحرمة استخدام الرموز والشيفرة والوثائق... فهل هناك أوضح من مثل هذا البند في كون هذه المنظمة تمارس أعمالاً فيها خطر على الأمن القومي لهذا البلد ولكل دول المنطقة كونها منظمة إقليمية.

وفي (المادة ١٥) يذكر أن موظفي المكتب الإقليمي يتمتعون بالحصانات التالية: الحصانة القضائية المتعلقة بعملهم، والحصانة من التوقيف ولو ارتكب جريمة، والحصانة من حجز أمتعتهم الشخصية والإعفاء من كل الواجبات الضريبية، والاعفاء من الخدمة العسكرية الإجبارية...

الوعي: إن هذا الاتفاق يفضح أن فرنسا دولة استعمارية على نسق أميركا في استعمارها، وخاصة في شمال أفريقيا التي تعتبر شريان حياتها، ويذكرنا هذا الاتفاق بشبيهه الأمريكي الذي أقره برايمر بعد احتلال العراق... ويفضح أن المنظمة الدولية الفرنكوفونية هي إحدى أدوات الاستعمار الفرنسي المقنع والمتخفي الأهداف، وهي أحد أذرع المخابرات الفرنسية الدولية... ويفضح مدى استمرار التغلغل الاستعماري الفرنسي في تونس في الطبقة الحاكمة (حكومة ومجلس نواب) وذلك بإقراره بهذه النسبة من الموافقة عليه... ويفضح حزب النهضة ونوابه وزعيمه المتفرنج راشد الغنوشي...

هذا هو حال الأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين جميعها، وليس تونس فقط من الخيانة والتبعية والتآمر على المسلمين... وهذا حال شعوبها، من التآمر عليها... ويقولون بعد هذا: لماذا تثور الشعوب على حكامها... في الحقيقة، لا يغير الحال إلا الحكم بما أنزل الله، عن طريق إقامة الخلافة، التي تنتشل الشعوب المظلومة من براثن الاستعمار الذي ما زال نشطاً، والتي مثل هذه المنظمات هي أدواته، ومثل هؤلاء الحكام هم نواطيره، وتقيم العدل في العالم كله. ■

مجلس الشيوخ الفرنسي يحرض على الإسلام السياسي

قدمت لجنة فرنسية تتكون من حوالى ثلاثين عضوًا في مجلس الشيوخ، الخميس في ٢٠٢٠/٠٧/٠٩م تقريرًا وصف بـ»المقلق» يتعلق بانتشار (الإسلام السياسي المتطرف) في فرنسا. وذكر التقرير الذي حمل توقيع «تجمع العاشر من نوفمبر ضد الإسلاموفوبيا»- أن أعضاء لجنة تعنى بما يسمى «التطرف الإسلامي ووسائل مكافحته» نظموا في الفترة ما بين نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٩م ويونيو/حزيران ٢٠٢٠م، ٣٩ جلسة استماع بالمجلس، حضرها وزراء وخبراء للحديث عن التهديد المزعوم لـ «الانفصالية الإسلامية» في البلاد. في محاولة لرسم أكبر صورة ممكنة للتهديدات التي يشكلها الإسلام المتطرف على الجمهورية الفرنسية. واعتبر تقرير مجلس الشيوخ هذا أن «التطرف الإسلاموي هو اليوم واقع ملموس» في العديد من الأحياء، وأن دعاته «يسعون اليوم لوضع اليد على الإسلام في فرنسا... ويسعون لتحقيق «الانفصالية في عدد من المدن... وأن الإسلاموية المتطرفة تسعى لفرض قيم «جديدة» على المجتمع بحجة الحرية الفردية». الأمر الذي يعني عمليا «التنكر لقيم الجمهورية كحرية المعتقد والضمير والمساواة بين الرجل والمرأة واختلاط الجنسين». ويمكن الإفاضة بالحديث عن ارتداء الحجاب والنقاب، ومنع الفتيات من الذهاب إلى مسابح مختلطة، أو السيدات لاستشارة أطباء رجال، والمطالبة بلوائح طعام خاصة في المدارس للتلامذة المسلمين... وذهب التقرير إلى حد الحديث عن سعي الإسلام السياسي لإعادة «**إحياء الخلافة**»؛ لذلك «يتعين التحرك اليوم وإلا فات الأوان» واعتبر وزير الداخلية الفرنسي دارمانان أن «الإسلام السياسي هو العدو القاتل للجمهورية». ويذكر أن أعداد المسلمين في فرنسا تقدر بستة ملايين. إلا أن الأرقام الدقيقة غير متوافرة لأن القوانين تمنع الإحصائيات القائمة على أساس ديني أو عرقي.

وقدّم التقرير ٤٤ مقترحًا في المجالات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والثقافية من أجل «مواجهة» و»إيقاف آلة الدعاية» الإسلامية... بينها محاربة الوجود المتطرف داخل بنى الدولة ومؤسساتها، وفي إطار المدارس العامة والخاصة، والجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية، وزيادة الرقابة على المدارس الخاصة، والتنبه من ظاهرة التعليم المنزلي، والتخلي نهائيًا عن الاستعانة بأئمة من الخارج وتعزيز تأهيل الأئمة في المؤسسات والجامعات الفرنسية. ويطالب التقرير بضرورة التركيز على شفافية الأموال التي تصل من الخارج إلى الجمعيات ومعرفة مصادرها.

الوعي: إنها أوروبا العجوز التي تقترب من الموت والفناء يوماً بعد يوم، وتخاف على حياتها من كل شيء... بل إنها العلمانية التي شاخت وباخت وداخت وهي تتناول العقاقير لتبقى على قيد الحياة... وكيف؟! بمثل هذه اللجان الرسمية والتوصيات التي تشكل بحد ذاتها أكبر إفلاس بسعيها لاستصدار قوانين تحظر وتفرض من غير مواجهتها بالفكر والحجة... إنها مظاهر النزع الأخير لحضارتهم البائدة الفاسدة، بإذن الله، والتحذير مما يخافون منه: «**إحياء الخلافة**» يريدون أن يبدلوا كلام رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ تَكُوْنُ خِلَافَةً على منهاج النبوة**». ■